جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

بَلَاغَةُ السَّرْدِ الرِّوائيِّ في رِوَايَةِ "فَراغ مكتَظّ"

إعداد

د/ شومة محمد الفاضلي البلوي
أستاذ البلاغة والنّقد المشارك
بقسم اللّغة العربيّة
كلية التربية والآداب / جامعة تبوك

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بَلاغَةُ السَّرْدِ الرِّوائيِّ في رِوَايَةِ "فَراغ مكتَظّ".

شومة محمد الفاضلي البلوي

قِسْمِ اللُّغَةِ العَربيَّةِ، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: sho.albalawi@ut.edu.sa

الملخص:

تَسْعَى هذهِ الدّراسَةُ لاستثمارِ البلَاغةَ العربيَّة القديمةَ، وآليَّاتِها الجُزئيَّةِ التي طَالما استبعدَتها الدّراساتُ السّرديّةُ الحديثَةُ لهيمنةِ السّردِ البنيويّ الغربيّ على منهاجيَّةِ المعالجةِ البلاغيَّة والنّقديَّةِ، ولكنَّنا في إطار معالجَةِ بلَاغةِ السَّردِ الرّوائيّ لروايةِ" فرَاغ مُكْتَظّ" للرّوائيّ السُّعُوديّ إبراهيم مِضوَاح الألمعيّ في ضوءِ ما أثرَى بهِ واين بوث بلاغةَ السَّردِ الرّوائيّ منَ الاستعانَةِ بكلّ الوسائلِ البلاغيَّةِ التي تُسهِمُ في تقريبِ المخيالِ السَّردِيّ إلى الوَاقعِ.

ويظَلُّ استِكشَافُ أَدواتِ السَّاردِ التي تَأتيهِ عَفوًا لهذَا الإيهامِ بالواقعِ دُونَ قصدٍ أو استهدافٍ هي مَهمَّةَ البَلَاغَةِ، بكلّ ما يَحويهِ هذا المصطلَحُ المراوغُ من عُلُومٍ قَديمةٍ وحدِيثَةٍ، تبدأُ من بلاغة الكَلمةِ في الرّوايةِ، ودور التّركيبِ وما يَعتَريهِ من بدِيعٍ لَفظيّ أو مَعنَوِيّ، وما يُولّدُهُ مِن تَمثيلاتٍ بلَاغيَّةٍ تُسهمُ في خلقِ الشّخصيّاتِ ورسمِ أبعادِها النّفسيَّة والاجتِماعيَّةِ، والجسَديَّةِ، وثَقافتِها، والمكان السَّردِيّ، وحرَكَة الزَّمنِ من ارتدَادٍ واستِباقٍ، وكَذا دورُها في الحِجاجِ العَقْلِيّ والوِجدانيّ، وطرائقها في تخييل الأحداثِ ودوافعها ومراقبة أُفق توقّع القارئ.

ومِن ثَمَّ؛ انتهتْ هذهِ الدّراسةُ إلى مجموعةٍ من النَّتائجِ، لعلَّ أهمَّها هذه النّتيجةُ الجامِعَةُ التي تَرى أَنَّ البلاغَةَ العربيَّةَ؛ بعلومِها الثّلاثةِ مِن مَعَانٍ، وبيَانٍ، وبَديعٍ، مازَالتْ قادرةً على دراسَةِ الخطَابِ السَّرديّ المعَاصِرِ، في ضَوءِ رُؤيَةٍ مُتكاملَةٍ، لا تقعُ في أَسْرِ النَّمُوذج الغَربيّ، ولا تُقصِيهِ في الوَقتِ ذاتِهِ؛ مما جعلها تكتشفُ قيمًا بلاغيَّةً مهمَّةً للجناسِ، والطّباقِ، والمقابلَةِ، والاستِعَاراتِ والتَّشبِيهاتِ، والكِناياتِ في البنية السّرديّة للرّوايةِ محلّ الدّراسةِ، أمكنَ، من خِلَالها، فهمُ مَرجِعيَّةِ الشَّخْصيَّاتِ، ومُتابَعةِ وِجْهةِ النَّظرِ في الرّوايةِ مِن حيثُ الاستقطابِ الحادّ بين التيّارينِ المتناقضينِ: اللّيبرالِيّ، والدّينيّ المتشَدِّدِ.

الكَلمَاتُ المفتاحيَّةُ: بلَاغة السَّردِ، فراغ مُكْتَظّ، واين بوث، الخطابُ الرّوائيُّ.

The language of the narrative narration in the narration of a "majestic emptiness."

Shoma Muhammad Al -Fadli Al -Balawi
The Arabic language section, College of Education and Literature, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Sho.albalawi@ut.edu.sa

Abstract:
This study seeks to eliminate ancient Arabic rhetoric and its various mechanisms, which modern narrative studies have long maintained due to the dominance of Western narratives over the rhetoric and critical approach. However, we are within the framework of the rhetoric of narrative narratives For the novel “A Crowded Void” by the Saudi novelist Ibrahim Madwah Al-Alma’i, in light of what Wayne Booth enriched the eloquence of the novel’s narrative through the use of all rhetorical means that contribute to bringing the narrative imagination closer to reality. Exploring the narrator's tools that allow him to create this illusion of reality without intention or purpose remains the task of rhetoric, with all that this elusive term contains of ancient and modern sciences, starting from the eloquence of the word in the novel, and the role of composition And what is wrong with him. A verbal or moral masterpiece, and the rhetorical representations it generates that contribute to creating characters and drawing their psychological, social, and physical dimensions, their culture, the narrative place, and the movement of time, such as regression and anticipation, and so on. Its role in the mental and emotional argument, its methods of imagining events and their motives, and monitoring the reader’s horizon of expectation**.**

Keywords: With The Eloquence Of The Narration, An Emerging Vacuum, Wayne Bath, The Narrative Discourse, A Novel.

مقدّمةٌ:

"فراغٌ مكتظٌّ" هُو عُنْوَانُ رِوَايَةِ الكاتِبِ السُّعُودِيِّ إبراهيم مِضْوَاح الأَلْمَعِيّ، التي تَقَعُ في مائةٍ وثَمانِي وسَبعينَ صَفْحةً، والصَّادرَة عنْ دَارِ أدَبِ للنَّشْرِ والتَّوْزِيعِ بالرِّياضِ عامَ ٢٠٢٣م، وفَازَتْ بالتَّرشُّحِ في القائِمَةِ الثَّامنَةَ عَشْرةَ لجَائزةِ كَتَارَا للرِّوَايَةِ العَربيَّةِ، وَقَدْ وظَّفَ فيها السَّارِدُ الزّمنَ الكُرُونولوجيّ إطَارًا للأَحْدَاثِ الخارجيَّةِ من خِلَالِ هَذا التَّضَادِّ الوَاضِحِ في بِنيةِ العُنوانِ ليبدِيَ المُفَارَقَةَ الكَائنةَ في أزمة الفكرِ العَربيّ المعَاصِرِ.

وممَّا هُو جديرٌ بالذِّكرِ أنَّ : الرِّوَايَةَ شُيِّدَتْ عَلَى طَابِعِ فِكْريٍّ ثَقَافيٍّ منَ الصَّفحةِ الأُولى التي خَصَّصَها السَّارِدُ لمقتبسِ للفَيلسُوفِ الإنجليزِيِّ (چون استيوارت ميل) يقُولُ فيه: "في المجَادَلَاتِ الثَّقافيَّةِ، غَالبًا ما يكُونُ كِلَا الطَّرفَينِ مُحقًّا فِيمَا يُؤكِّدُهُ ومُخْطِئًا فِيمَا يَنفيهِ"[١].

مِنْهاجيَّةُ البحثِ:

لَعَلَّنَا لانَجِدُ مُصْطَلَحًا شَائِعًا له منَ الغُموضِ والتَّنوُّعِ ما نجدُهُ لمصطلحِ البلَاغةِ؛ إذْ إنَّها تداخلَتْ معَ عُلُومٍ كثيرةٍ؛ فغدَتْ خِطابًا مزيجًا تركيبيًّا من حقُولٍ مُتعَدّدةٍ، لا تَدرسُ الخِطَابَ مِن وُجُوهِهِ الجَماليَّةِ فَحَسبُ، بل تدرسهُ بوصفِهِ خِطابًا إبستمولوجيًّا حَضاريًّا ثقافيًّا، ومَعَ كلِّ ذلكَ فإنَّ هذا المفهُومَ المركّبَ المتدَاخِلَ لا يَعْني أنَّها استَغنَتْ عنْ آليَّاتِ البلاغَةِ القديمةِ ومُنْطَلَقَاتِها الجماليَّةِ، ولَكنَّها تجَاوزَتْها فَحَسبُ، بِفِعْلِ جُهُودِ چورج موليني ودِيڤيد فيلِمنچ، وكينث بيرك، وبخاصَّةٍ واين بوث الذي سَعَى حثيثًا لكسْرِ جمُودِها الجمَاليِّ الموروثِ؛ فانتَهَى إلى مَفْهُومَينِ لها: الأَوَّل قديمٌ يحفلُ بِشِعريَّةِ الخطابِ، والثَّاني مَنطِقِيٌّ يَعتَمِدُ عَلَى

١- إبراهيم مضواح الألمعي، فراغ مكتظ، ط١، دار أدب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤٥-٢٠٢٣م،٥.

اللُّغَةِ، وهُو ما عُرفَ بالبلَاغَةِ الجدِيدةِ التي تَطْمحُ إلَى أَنْ "تُبصِّرَ البلاغيَّ العرَبيَّ بمدى التطوُّرِ الهائِلِ الذي أَصَابَ العُلُومَ البلَاغِيَّةَ في عَصرِنا الحالي، وتُوفِّر لهُ، أَيضًا، الآليَّاتِ والأدواتِ البَلَاغيَّةِ الجديدَةِ التي تُسَاعِدُهُ على تَحليلِ الخِطَابَاتِ المتنوِّعَةِ المعاصِرَةِ"(١).

ومن ثَمَّ؛ جاءَ منهجُ هذه الدّراسَة جامعًا بينَ رؤيةِ واين بوثِ لبلاغَةِ السّردِ الرّوائيّ، والاستعانة بآليَّاتِ البلاغَةَ العربيَّةَ القديمةِ؛ بعلومِها الثَّلاثةِ الموروثَةِ : المَعَانِي، والبيَانِ، والبَديعِ؛ لكونِها قادرةً على قِراءَةِ الخطَابِ السَّرديّ المعَاصِرِ، في رُؤيَةٍ مُتضافرةٍ، لا تقعُ في أَسْرِ النَّمُوذجِ البنيويّ، ولا تُقصِيهِ في الوَقتِ ذاتِهِ؛ مما يجعلُها قادرَةً على استكشافِ قيمٍ بلاغيَّةٍ جديدةٍ للمستوياتِ الصَّوتيَّةِ من جناسٍ، وتوازٍ إيقاعيّ، وقيمٍ معجميَّةٍ لدورِ الكلمةِ في الخطابِ الرّوائيّ، والمحسناتِ المعنويَّةِ؛ كالطّباقِ، والمقابلَةِ؛ وهو ما يلزمنا دراسة المستوى التّركيبيّ، واستثمار الأدوار الدّلاليَّة للأساليبِ الخبريّة والإنشائيَّةِ، والانتقال منها إلى المستوى التّصويريِ؛ كدراسةِ التَّشبِيهاتِ، والاستِعَاراتِ، والكِناياتِ، ودَورِها في البنيةِ السّرديّة للرّوايةِ محلّ الدّراسةِ، قبل الانتقالِ إلى دراسَة عناصر البنية السّرديَّةِ في ضوء هذه الرّؤية، وما تنتهي إليهِ.

ومن ثَمَّ؛ فقد قسَّمتُ الدّراسة إلى مبحثينِ، قبلهما مقدمة وتمهيد، ويردفها الخاتمةُ وثبَتُ المصادِرِ والمرَاجِعِ.

وقد جاء المبحثانِ؛ وَفقًا لهذه الرّؤيَةِ؛ كالآتي: جاءَ المبحثُ الأوّلُ لدِرَاسةِ أُسلوبيّةِ المستوَياتِ الأُسلُوبيَّةِ وبَلَاغَةِ الخطابِ السَّرديّ؛ فدرستُ بلاغةَ المستويّاتِ

١– ينظر، واين.س. بوث، البلاغة وتحليل الخطاب(دراسات نظريَّة وتطبيقيَّة)، ترجمة، معتز سلامة، الطبعة الأولى، دار النابغة للنشر، طنطا، مصر، ٢٠٢٠م، ١٥.

الأربعةِ في أَرْبعةِ مطَالِبَ هي: المستوى الصَّوتيّ، و المستوى المعجميّ، و المستوى التّركيبيّ، و المستوى التّصويريُّ.

وجاءَ المبحثُ الثَّاني لدِرَاسَةِ عناصِرِ التَّشكيلِ السَّرديِّ؛ فدرستُ من خلالِهِ، في ضوءِ ما تقدّم في المبحثِ الأوّلِ ثلاثَةَ مَطَالبَ هِيَ: سيميائيَّةُ الشّخصيَّاتِ ودورُها في بناءَ الحدثِ وتناميه وتطوّرِهِ وخلق مراكز الصّراعِ؛ بداتُ بالمحوريَّةِ؛ كالبطلِ والبطلِ الضّدّ، والمتردّد بينهما فالثّانويَةِ فالهامشيَّةِ، والمحور الثّاني البنية الزّمنيَّة من حيثُ بَلاَغَةُ التَّرتيبِ والتَّتابُعِ الزَّمَنِيّ في خِطَابِ الرِّوَايَةِ، ثمَّ درستُ في المحور الأخير من هذا المبحثِ المكَانَ الكنائِيَّ ودَورَهُ في المتَخيَّلِ السَّرِدِيِّ.

ومن حُسْنِ الطّالع أن تكونَ هذه الدّراسةُ هي الدّراسة الأكاديميَّة الأُولى؛ فيما أعلمُ، حول هذه الرّوايَةِ المهمَّةِ، والله وحده من وراءِ القَصْدِ.

- **التَّمْهِيدُ:**

١/٠- **تَضَافرُ البلاغةِ القديمةِ مع بلاغَةِ واين بوث:** مِنَ اللَّافتِ أَن يَستَخلِصَ واين بوث مَفَاهيمَهُ البلَاغيَّةَ مِنَ التِّقنيَاتِ التي عَرَفَها السَّرْدُ في عُصُورِهِ المتأَخِّرَةِ مادّةً لتَطْبيقِ نَظَريَّةِ بَلَاغَةِ السَّرْدِ الرِّوَائِيّ عِنْدهُ كانَتْ عَلَى الرّوَاياتِ الأَدبيَّةِ مُسْتبعِدًا بِذلِكَ أيَّ نوعٍ آخرَ يكونُ القصُّ فيها وَعظِيًّا تعليمِيًّا أوْ دِعائِيًّا؛ فهو يهتمُّ بالطَّرائِقِ التي يستخدمُها السَّارِدُ تلقائيًّا دونْ أن يستهدفَ التَّأثيرَ عَلَى المتَلقّي، إلَّا أنَّه يُسَيطِرُ عَلَيهِ، ويُؤثِّرُ فيهِ دُونَ أنْ يَشعُرَ؛ لذا استبعَدَ المؤثّراتِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ التي يمكنُ أن تؤثّر عَلَى السَّارِدِ والمتلقّي؛ لِيصِلَ إلى الآلِيَّاتِ التي تجعلُ البلاغةَ متوائمةً معَ الفنِّ الروائيِّ؛ لِذَا تَتأتَّى فكْرةُ بلاغَةِ السَّرْدِ الرِّوائيِّ عندَهُ مِنَ التَّركيزِ عَلَى الأَدَواتِ، والتّقنياتِ، والحِيَلِ البَلَاغِيَّةِ المتاحَةِ لِلسَّارِدِ الرّوائيّ؛ التي تمكّنهُ مِن رسمِ تصوُّرٍ كاملٍ عنْ عالمهِ الرّوائيِّ الخياليِّ دونَ تعمُّدٍ؛ فيرَى أنَّ هذهِ التّقنياتِ البَلَاغيَّةَ التي يمتلكُها الرِّوائيُّ تَكمُنُ في جَعلِ اللَّفظِ ورَاءَ الأَحْدَاثِ؛

للحصُولِ عَلَى رؤيةٍ صادِقَةٍ لِفِعلِ الشَّخْصِيَّةِ الرِّوائيَّةِ وقَلْبِها بتلقائيَّةٍ في وجُودِها وتأثيرِها؛ وهو ما قَصَدَ بِهِ النَّقاءَ الفنيَّ[١].

ومنْ ثَمَّ؛ لا يُرَكّزُ بوث عَلَى التَّدْقِيقاتِ البلَاغيَّةِ التي فَصَّلها أرسطُو؛ كالاستعارةِ، و المجازِ، والتَّشبيهِ، والتَّركيبِ، والدَّلالَةِ...إلخ)، كما أنَّهُ لا يُرَكّزُ ،كذَلكَ، عَلَى التَّصوُّرات البِنائيَّةِ، ونَظريَّاتِ التَّلَقِّي التي قَدَّمها ياوس وإيزر؛ لذَا يَنتَمِي بُوث إلى الأَرسطيّينَ الجُددِ الوَاقعِيّينِ في مُفتَرقِ الطَّرِيقِ النَّقْدِيّ؛ ممَّا وَضَعهُ هذا الموضِعَ النَّقدِيَّ الحرَجَ الذي يُضفِي عَلَى بلاغَتِهِ صِفةَ الطَّرافةِ [٢].

ومِنْ هَذهِ الطَّرافَةِ لدَى بُوث أنَّهُ يَرى العَلَاقةَ بَينَ القَارئِ والسَّارِدِ عَلَاقةَ "صَدَاقَةٍ" لَكِنَّها لا تَتَحقَّقُ بِطُرقٍ مُباشِرةٍ، أو بتِقنيَاتٍ بلَاغيَّةٍ مفضُوحةٍ؛ لذا يَرفضُ الاحتِفاءَ بهذا النَّمطِ مِنَ الكتابةِ التَّعليميَّةِ؛ بِوَصفِها فنًّا للتَّواصُلِ، وامتلاكها إمَكَانِيّاتٍ بَلَاغيَّةً لكاتبِ الملحَمةِ، أو الرِّوَايَة، أو القصَّة؛ فإنها تتجلَّى بوُضُوحٍ أَكبرَ في رِواياتٍ غير تعليميَّةٍ؛ لذا يُخرجُ التَّعليميَّةَ والدّعائيَّةَ من دائِرةِ اهتمامِهِ؛ لكونها تُمارِسُ التّقنياتِ الرّوائيَّةِ بشكلٍ واعٍ صريحٍ، في حينِ يَرَى أنَّ المطلَبَ الأساسَ يكمُنُ في إجابَةِ هذا التَّساؤُلِ: هلْ أُنجِزَ العملُ الرِّوائيُّ إنجازًا تامًّا أمْ لا؟؛ فمسأَلةُ التّقنِيةِ الواعِيةِ ليسَتْ بذاتِ أهميَّةٍ؛ فَنَجَاحُ بلَاغَةِ السَّارِدِ ليسَتْ في كَونِهِ يفكِّرُ في قارئِهِ في أثناءِ الكتابةِ ليَضمَنَ النَّجاحَ؛ فَالسَّارِدُ الأكثرُ ديونيسيَّةً ولاوعيًا هُو الذي يَنجَحُ حينَ يفلحُ في جعلِنَا نُشاركُهُ الرَّقْصَ. وانطِلَاقًا من هَذهِ الطَّبيعةِ ذاتها فإنَّنا

١- ينظر، واين بوث، بلاغة النص القصصي، وين بوث، ترجمة،. أحمد خليل عردات، وعلي أحمد الغامديّ، منشورات جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٩٩٤م،٣.

٢- ينظر، العتيبيّ، زكيَّة بنت محمَّد بن مبارك السليس، بَلاغَةُ الرِّوَايَةِ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ وِينْ بُوث (مقاربة وصفيَّة مع التطبيق على رواية، في ديسمبر تنتهي كلُّ الأحلام، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد٨، جزء، ٢، أبريل – يونيو، المدينة المنورة، ٢٠٢٣م، ٢٣١.

لنْ نَتمكَّنَ منَ الحُكمِ بعدُ عَلَى مَصَادرِ النَّجاحِ الفنيّ التي لا يُمكنُنَا أنْ نَفْحَصَها في تَفاصِيلِهَا الدَّقيقَةِ، غيرَ أنَّنا يمكنُنَا قَبُولُ هذا الحَصْرِ دُونَ أَنْ نَنفِيَ الأهميَّةَ غيرَ المحدُودَةِ واللَّا مَحدُودَةِ لِدِراسَةِ الأَعْمَالِ الرِّوائيَّةِ التي فَكَّر مُؤلِّفُوها بِطَرائِقِ وَاعِيَةٍ في المتلَقِّين(١).

- **مُلَخَّصُ رِوايَةِ "فَراغ مُكْتَظّ" وَوِجْهَةُ نَظَرِ السَّارِدِ الضِّمنيّ:**

حَاولَ الكاتبُ أنْ يمرّرَ وِجْهةَ نَظرِهِ هَذهِ من خِلَالِ بلاغَةِ السَّردِ الرِّوائيِّ في رِوايَةِ "فراغٌ مكتظٌّ" بمَجَازَاتِهِ وتَقريرِهِ واستِعَارَاتِهِ الموسَّعَةِ التي تَشِي بهذا التّناقضِ الفجِّ بين التَّيَّارينِ المتصارعينِ بهذهِ الحِدّة: الدّينيّ المتطرّف والعلمانيّ الاستعراضيّ من خِلَالِ مُعْجمٍ لُغويّ مُختارٍ بعِنَايةٍ، وتِقْنياتٍ بَلَاغيَّةٍ ومَعرفيَّةٍ ضَفَّرها في سَردِهِ؛ فاختارَ لروايتِهِ ثلاثَةَ شَخصيَّاتٍ رئيسَةٍ، يتَصدَّرُها البَطلُ والبطلُ الضِّدُّ بالتَّناوبِ؛ فثمَّةَ مناظرةٌ مرتقبةٌ بينَ الشَّيخِ نَبْهَان والدُّكْتُور عَلَّام، اللَّذين يختزلانِ الصِّراعَ ويكثِّفانِهِ في مُنَاظَرَةٍ تليفزيونيَّةٍ بينَهما؛ إذْ يمثِّلُ الأَوَّلُ تيَّارًا إِسْلَامِيًّا مُتشَدّدًا ومُضلّلًا؛ قوامهُ استثمارُ الدِّينِ في الكَسبِ المادِّيِّ مُمثّلًا في القِيَامِ بالرُّقيَةِ الشَّرْعِيَّةِ للمَرضَى، والاستِمتَاعِ بالزَّوَاجِ مِن أَكثرَ مِن اِمرأةٍ ؛ طَمعًا في تَحقيقِ المتعَةِ، واستقطابِ الأَتبَاعِ؛ للتَّرويجِ لهُ، ويُمثِّلُ الثَّاني تيَّارًا لِيبراليًّا مُتَحرِّرًا، لا يَقِلُّ اِنحرَافًا عنْ نَظِيرِهِ الآخَرِ الإِسْلَامِيِّ في طَلَبِ المتعَةِ عَبرَ عَشيقَةٍ منْ وَراءِ ظَهرِ زَوجَتِهِ التي اقترنَ بها؛ لأَنَّها ابنةُ استاذِهِ الذي أشرفَ عَلَى رِسَالَتِهِ؛ لِيثْبُتَ أنَّ كِلَا التَّيَّارينِ انتِهازيٌّ يَبحثُ عَنْ مَصلَحتِهِ الخاصَّةِ، وإنْ كانَ الأَوَّلُ الإِسْلَامِيُّ بِدعْوَى التَّقْوى، والثَّاني الليبراليّ بزعْمِ التَّنويرِ، وقَدْ بَدَا واضِحًا أنَّ استِثْمارَ السَّارِدِ آلِيَّاتٍ حِجَاجيَّةٍ عَبرَ آلِيَّاتِ السَّرْدِ، وتنامِي الأَحْدَاثِ، وسُلُوك

١- ينظر، محمد أنقار ، بلاغة الرِوَايَة واين بوث أنموذجًا، مجلة فكر ونقد، عدد ٤١، المغرب، ٢٠٠١م،٩٣-٩٤ .

الشَّخْصِيَّاتِ، والنّبش في الذّاكِرَةِ من خِلَالِ التَّناصِّ معَ الأغنياتِ الشّهيرةِ، وانعِطَافِ الوَقَائعِ والحوَادِثِ التي دَارَتْ بَينَهُم ، وبينَ أتباعِهِم ، وتَصَرُّفَاتهم معَ ذويهِم، والمقارنةِ بين الوسائلِ التي اتَّبعها كلٌّ منهما في التَّرويجِ لأَفكارِهِ، ودقَّةِ تنظيمِ أتباعِ الشَّيخِ نَبْهَان الذينَ كانُوا أشبهَ بخليَّةِ النَّحلِ في التَّحْضِيرِ للمُنَاظَرَةِ، وتَوْزِيعِ المهامّ فيما بينَهُم؛ لضَمَانِ إنجاحِها من خِلَالِ جَمعِ المَعْلُوماتِ عنِ الخَصمِ، وتتبُّعِ سَقَطَاتهِ في تصريحاتهِ، وبرامجهِ، ونَشَاطاتهِ الصَّحَفِيَّةِ والأَكَادِيمِيَّةِ، وكذلكَ أتباعُ الدُّكْتُور عَلَّامِ، وسُلُوكِهِ الفوضويِّ، وانشغالهِ بشَهَواتِهِ تحتَ مظلَّةِ الحُرِّيَّة الشَّخْصِيَّةِ.

والشَّخْصِيَّةُ الرَّئِيسَةُ الثَّالثَةُ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الأَرْبعِ التي تَتَسَيَّدُ الأَحْدَاثَ هيَ شَخصيَّةُ الإعلَاميّ هَزَّاعٌ، الذي يعملُ عَلَى إدارةِ المُنَاظَرَة؛ وهُو لا يقِلُّ اِنْتِهَازِيَّةً عَنِ الشَّخْصِيَّتَينِ الأخرينِ (نَبْهَانَ وعَلَّام)؛ فَهو لا يُبالي بمُسْتَقْبلِ المَحَطَّةِ الإِعَلَّاميَّةِ التي يَعْملُ بها؛ ويتمنَّى أن يُحدثَ ضَجَّةً كُبرَى بمناظرتِهِ بين القطبينِ المتضادَّينِ، قد تُؤْذِّي مديرَ المَحَطَّةِ، في حين تجعلهُ هُو مَوضعَ الأنظارِ والاهتِمَامِ؛ فيَحتَالُ عَلَيهِ مُمنيًّا إيَّاهُ بما سَتجلبهُ هذهِ المُنَاظَرَةُ منَ المعلنينِ؛ فيزيد الدَّخلُ، ويُغْرِي نَبْهَانَ وعَلَّامًا بالمالِ.

وفي تَعمُّقٍ لِدَوافعِ الشَّرِّ والانتِهَازيَّةِ، أيضًا، في شَخصيَّةِ نَبْهَانَ، يَكشِفُ لَنَا السَّارِدُ الضِّمنيُّ ما قَاسَاهُ وأَشْقَاهُ في ماضِي حَيَاتِهِ؛ وَراكمَ لَدَيهِ هذِهِ العُقدَ النَّفْسِيَّةَ التي دَفَعتْهُ لهذَا السُلُوكِ؛ الأَمرُ الذي استدعَاهُ أن يراجعَ طبيبًا نفسيًّا، وصفَهُ لهُ عَلَّامٌ، ومن آليَّاتِ التَّعافي التي حَاولَها هزّاعٌ، وكانَ يَلْجأُ إلى المذكِّراتِ؛ ليُفرِغَ فيها ما احتَشَدَ من ذِكرياتٍ ماضِيةٍ، ودَفَعهُ إلى هذا السُّلُوك، وقد لجأَ السَّارِدُ إلى تمييزِ هذه المذكراتِ بالخطِّ الغامقِ، وعملَ عَلَى النَّبشِ في تاريخهِ مُتلمّسًا التَّضَاريسَ النَّفْسِيَّة التي تكوَّنتْ بفعلِ عواملَ بِيئِيَّةٍ، تَرْبَوِيَّة، واِجْتِمَاعِيَّةٍ، وعَاطِفِيَّةٍ، تمثَّلتْ في ما انطَوَى عليهِ الفَضَاءُ المَكَانِيُّ من عَناصِرِ الكآبةِ، فالقَريةُ "الحزناءُ" دلالةٌ عَلَى الحُزنِ، وتاريخ الشَّخصيَّةِ أَيضًا؛ فقدْ لُقِّبَتْ أمُّ هزّاعٍ بالنَّمْلَةِ؛ استعارةً

تصـرِيحيَّةً للدَّلالـةِ عَلَـى الاحتِقـارِ، وأبُـوهُ شَـديدُ القَسْـوةِ، و كـذَا بِيئَتـهُ الاجتِمَاعِيَّـةُ لا تَرحمُ فيُلقِّبونـهُ بـابنِ النَّمْلَـةِ، حَّتـى مَعْشوقتُهُ حَلِيمَـةُ تَحتقِرُهُ مثلَهم، وتَزورُّ عَنـهُ إلى أَحضانِ رجلٍ أَضحَى سَجينًا للمُخدَّراتِ؛ الأمرُ الذي اِنتهَى بِهِ إلى الاستِسلَامِ لنَوبـاتِ البُكـاءِ، والوُقـوعِ فـي أَسْرِ (الانطِـواءَ والكُمُـونِ وأقراصِ الزَّنـاكس) واللِّـواذِ بمقْهَى (النّور)؛ لتَدخينِ المعسّلِ، وهُو مكانٌ مغلقٌ معزولٌ، يكافئُ الحالةَ النَّفْسِيَّةَ التي يُعاني منها؛ لذا لجأَ الكاتبُ في رسمِ ملامحِ شَخصيَّتِهِ إلى وَسيلتينِ اثنتينِ: حَديثِ النَّفسِ؛ فحينَ ذكَّرهُ عَلَّام بما قَدَّم لَهُ لجأَ إلى التَّعقيبِ عَلَى ما دارَ بينَهُما منْ حِوارٍ بالحَدِيثِ إلى نَفسِهِ مُخاطبًا عَلَّام مُذكّرًا إيَّاهُ بأنَّـهُ عَمَلَ عَلَـى تَلْميعِهِ والدِّعايةِ لهُ، ومتوَعِّدًا إيَّاه بأنْ يُعرِّفَهُ حُدُودَهُ بعدَ أنْ تنتهيَ المُنَاظَرَةُ؛ ويَكْشِفُ ذلِكَ عنْ أخلَاقِ الطَّرفينِ اللَّذينِ يَنتمِيَانِ إلى التَّيَّارِ اللّيبراليّ (عَلَّام وهزَّاع)، ثمة نمذجةٌ لأركانِ هذا التَّيَّارِ تَكْشِفُ عن عُيُوبِهم، ونفاقِ التَّيَّار الذي يَنتمُونَ إليهِ، وقد وظَّفَ ما يمكنُ أنْ يكُونَ لَونًا من أَلوانِ التَّناصِّ في إطَارِ حدِيثِ النَّفسِ مُمثلًا في تَرديدِهِ لأغنيةِ (إنْ كنتَ ناسِي أفكَّرك).

وكانَتْ وسيلَتُهُ الثَّانيةُ للتَّشَافي هِيَ اللُّجُوءُ إلى كتابَةِ المذكِّراتِ؛ فهُو يلُوذُ بها كلَّمَا وَاجَهَ مَوقفًا سَلبيًّا يَجعلُهُ مُتأزِّمًا، فهُو كثيرًا ما يتعرَّضُ للسُّخْريةِ مِن عَلَّامٍ، وكَذَا من مَسعُودٍ الشَّاعرِ اللِّيبراليّ، وكلَّما شَعَرَ بالقلقِ من المواجَهَةِ المرتقَبةِ في عَمليَّةٍ استِرْجاعِيَّةٍ أَشبهَ بالاعترافِ والتَّبريرِ لما آلَ إليهِ أَمْرُهُ سَارِدًا التَّفاصِيلَ المتعلِّقَةَ بقَسْوةِ الأبِ عليهِ وعَلَى أُمِّهِ، ويستحضرُ ما انتَهَى إلَيهِ مِن مَكَانةٍ في استِدْعاءٍ لما وَصَلَ إليهِ واستباقٍ لما سيُحرزهُ، وَوصْفٍ لما يَدُورُ في خلالِ تلكَ اللَّحظاتِ الحرِجَةِ، وتَسْتَغرِقُ هذهِ المذكراتُ حَيِّزًا لا بَأسَ بهِ منَ الرِّوايةِ، وتُمثِّلُ مُفصلًا مِن مَفَاصلِ تطوُّرِ الحدَثِ وتَنامِيهِ فيما يَتَعلَّقُ بالتَّحْضِيرِ للمُنَاظَرَةِ المنتَظَرَةِ، وهِيَ مؤرَّخَةٌ بتواريخِ الأيَّامِ التِّسْعَةِ مِنْ يُولْيُو، وهيَ الأيَّام التي يعنونُ بها الأيَّامُ من الأَحدِ الثَّاني يُولْيُو ٢٠٠٦م، إلَى الاثنينِ العَاشِرِ مِن يُولْيُو ٢٠٠٦م عَلَى التَّوَالِي.

وتَمضِي الأَحْدَاثُ إلى حينِ لِقَاءِ نَبهانَ وعَلَّامٍ في مَكْتَبِ القَناةِ؛ للتَّحْضيرِ لبَدءِ المُنَاظَرَةِ التي هِيَ الفاصِلُ الحقيقيُّ لحياةِ هزاعٍ؛ إذْ سَتبدأُ حياةُ هزَّاعٍ مِن خِلَالِ نتائجِها أَوْ تَفشلُ.

ويدعُوهما هزَّاعٌ للتَوجُّه إلى الاستُديو لبَدْءِ المُنَاظَرَةِ التي ستَكُونُ عَلَى الهوَاءِ مباشرةً، ثمَّ تَنتهِي الرِّوَايَةُ؛ لنقرأَ في الفَصْلِ الأَخيرِ كَلِمةً واحِدةً هيَ (بَدأَتْ).

المبْحَثُ الأَوَّلُ: المستوَياتُ الأُسلُوبيَّةُ وبَلَاغَةُ الخطابِ السَّرْديّ :

اللُّغةُ هيَ وعاءُ المعنَى، وقدْ تَلينُ، وتَسْمُو، وتَشِفُّ، وَتَرِقُّ؛ فَتَصِيرُ أَقربَ إلى لُغةِ الشِّعرِ، وقدْ تَجفُّ وتبلُغُ الحَيدَة حتى تَصِيرَ أَقْربَ إلى لُغَةِ العلمِ، أَوِ اللُّغَةِ التَّقريريَّةِ الصَّحفيَّةِ، وإنْ كانتْ لا تخلُو منْ مَجازاتٍ؛ فتَكُونُ فيها أَقربَ إلى أَحدِ الأُسلوبينِ السَّابقينِ، حَسبَ الأَحدَاثِ وطَبائعِ الشَّخْصِيَّاتِ ووِجْهَةِ النَّظَرِ. وَمِنْ ثمَّ؛ فالرّوائِيُّ يَستَخْدمُ المسْتَوياتِ اللُّغويَّةَ كُلَّها: "الشِّعريَّةَ، التَّقريريَّةَ، الفُصْحَى، العاميَّةَ، الصُّوفيَّةَ، التُّراثيَّةَ،...إلخ" وقد يَلجَأُ إلى مَجمُوعَةٍ منَ الصُّورِ والمجازَاتِ وأَلوانِ البَدِيعِ؛ لِيَكسبَ اللُّغةَ شعريَّةً في مواضعِ الإغْراءِ، وقدْ تَخلُو منها في مَوَاقِعِ الجِدِّ، وقَدْ يَتَوسَّطُ في مَوَاضِعِ الوَصْفِ المحَايدِ. يَقُومُ السَّرْدُ في رِوَايَةِ " فَراغ مكتظّ" عَلَى أَسَاليبَ رمزيَّةٍ، تمثِّلُ التَّوتُّراتِ الثَّقَافِيَّة بين الأقطابِ المتضَادَّةِ إلى دَرَجَةِ التَّنافُرِ، والمتَضَادَّة إلى درجَةِ التَّناقُضِ؛ كما أَوضَحتُ سَابقًا، عَبرَ مَجمُوعةٍ منَ الحِكَاياتِ الثَّقَافِيَّةِ التَّخييليَّةِ ذَاتِ المرجعيَّاتِ الواقعيَّةِ؛ بما يجعلُنا نَستَشْعِرُ وَاقِعيَّةَ الأَحْداثِ والشَّخْصيَّاتِ؛ وهو ما نحاولُ البَحثَ عنهُ من خلالِ بَلَاغةِ السَّردِ في ضَوءِ ما تقدَّمَ بهِ مِن أَحْدَاثٍ؛ لِذَا يُمكنُنا تَقْسيمُ لغةِ التَّمثيلِ السَّرْديّ حَسبَ مَستويَاتِها الأُسلُوبيَّةِ أَو تتبُّعِ بَلَاغةَ أَلفاظِها وتراكيبِها؛ كما يَرى واين بُوث بِدايةً منَ المسْتَوى الصَّوتيّ، الذي يَستَمِدُّ طاقَاتِهِ التَّأثيريَّةِ من آليَّاتِ البَدِيعِ المعرُوفةِ؛ كالتَّجَانُسِ، والتَّوازِي، والتَّكْرارِ...إلخ.

١/١- المسْتَوَى الصَّوتيُّ:

ويُمكِنُ أَنْ نَتتبَّعَ تَشَكُّلَ المستَوى الصَّوتيَّ في الخِطابِ الرِّوائيّ، هُنَا، من خِلَالِ ظَواهرِ البَديعِ في النَّصّ، التي تَغْدُو بِدَورِها وَسِيلَةً رَمزيَّةً، تجذِبُ انتباهَ المتلقّي، وتُؤثِّرُ فيهِ؛ فالجَانبُ الموسِيقيُّ من أَهمِّ جَوَانِبِ الخِطابِ الرّوائيّ؛ إِذْ تمنحُ النَّصَّ شِعْريَّتَهُ وتأْثيرَهُ وتَفاعُلَ المتلَقّي مَعهُ. والكاتِبُ الجيِّدُ هُو مَنْ ينظِّمُ أَلفاظِ سَرْدِهِ في وَتائِرَ سَرديَّةٍ إيقاعيَّةٍ متميّزَةٍ حتَّى تُضحِيَ مَدَاخِلَ تأثيريَّةً في الحدثِ المسرودِ؛ وهو ما نطمحُ إلى كَشفِهِ ودرْسِهِ في رِوَايَةِ "فَرَاغ مُكتَظّ".

١/١/١- التَّجْنِيسُ بينَ الائْتِلَافِ الصَّوتِيِّ والتَّرابُطِ النَّصِّيّ :

ظَلَّتِ النَّظرَةُ الإقصَائيَّةُ النَّقْدِيَّةُ لِلْبَلَاغَةِ العَربيَّةِ القَدِيمَةِ رَدْحًا مِنَ الزَّمنِ في الأَبحاثِ السَّرديَّةِ الحدِيثَةِ إِلَى أَنِ التفَتَ الباحِثُونَ إلى إِمكانيَّةِ تَوظِيفِ أَدواتِها في السَّردِ المعاصِرِ[١]؛ انطلاقًا من فَهْمِهِم أَنَّ البلاغَةَ أعمُّ منَ النَّقْدِ وأشملُ[٢]؛ لأنّها تَدرسُ بالأَسَاسِ التَّعبيراتِ الفنيَّةَ دون تفريق بينَ شِعرٍ وسَردٍ[٣]؛ فلمْ تُضيّقِ البلاغَةُ واسِعًا، سِوَى أنَّها نَظَرَتْ إلى الأُسْلُوبِ نَظرَةً جُزئِيَّةً، وقدْ آنَ الأَوانُ لتجاوزها بالإفادةِ من علمِ الخطابِ وآليَّاتِ البَلَاغَةِ الجديدَةِ[٤]، التي أعلنت" انتِهَاءَ

١- ينظر، إبراهيم منصور التركيّ، توظيفِ أدواتِ البلاغة في النّصّ المعاصرِ، الندي الأدبي، الرياض، ١٤٣٢هـ،١٧.

٢- ينظر، شفيع السيد، فن القول بيت البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م،٣٧.

٣- ينظر، سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت،١٩٩١م، ٦.

٤- ينظر، محمد العمريّ، في بلاغة الخطاب الإقناعيّ، دار الثّقافةِ، الدّار البيضاء، ١٩٨٦م، ٨٧.

عَصرِ المعياريَّةِ الجزئيَّةِ[١]" وغَدَتْ هيَ" المبدَأَ المؤسِّسَ لتَوجُّهاتِ البلَاغةِ العِلْميَّةِ الجديدةِ الوَاصِفَةِ لحرَكتِها"[٢].

ويَـدُورُ مفهُـومُ التَّجنِـيسِ أو الجِنَـاسِ فـي تعريفـهِ البلاغـيّ القَـديمِ هـو "أن يتشـابهَ اللَّفظَـانِ فـي النُّطْـقِ ويختلِفَانِ فـي المعْنـى"[٣]، ولَعَلَّ طبيعـةَ الجنـاسِ هذهِ وضَعتْهُ منْ أقوى المؤثِّرَاتِ الصَّوتيّةِ التي تجذبُ المتلقّيَ؛ بوَصفهِ بِنيةً قائِمةً عَلَى الائتِلَافِ والإختِلَافِ في آنٍ؛ فهُو اتِّسَاقٌ صَوتيٌّ واختِلَافٌ مَعْنَويٌّ بينَ لَفظَينِ؛مما يولِّدُ شُعُورينِ مُتناقِضينِ؛ شُعُورًا بالاتِّسَاقِ الصَّوتيّ الإيقاعِيّ، وشُعُورًا بالاختِلَافِ العَقْلِيّ المعْنوِيّ.

ولَكنَّنَا نَجِدُ قُدامـةَ بـنَ جَعفَرٍ(ت٣٣٧هـ) حينَ يُنـاقِشُ التَّجْنيسَ والمطَابَقَـةَ يتَجاوزُ هذهِ النَّظْرةَ إلى اشتِرَاكِهما وائتلافِهما؛ فنَظَرَ إلَيهِما نظرةَ انْسِجَامٍ واتّسَاقٍ؛ لأنَّهُما كَما يقُولُ:" دَاخِلَانِ في بابِ ائتلَافِ اللَّفْظِ والمعْنَى"[٤]؛ وهُو ما يتّفقُ معَ نَظْرةِ عِلْمِ الخِطَابِ إليهِ بوصفِهِ رَابِطًا صَوتيًّا ومَعنَويًّا[٥]؛ فالجناسُ مِنْ أَقوَى أَدَواتِ التَّأثيرِ في المتلَقِّي؛ إذْ إنَّهُ يمورُ بين الائتلَافِ والاختلافِ في آنٍ؛ مما يَسترفِدُ القارئَ في السَّردِ ليكُونَ فاعِلًا، ومُنتظرًا لهذهِ المراوغَةِ ونَتِيجَتِها[٦]. ومِنْ ثَمَّ؛

١- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، لونجمان للتّوزيع والنّشر، القاهرة، ١٩٩٦م،١٥٥.

٢- السّابق نفسه، الصفحة نفسها.

٣- أيمن أمين؛ الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني) ،دار التوفيقية للتراث، القاهرة ، ٢٠١١م، ٢٢٢.

٤- قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق، محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ١٦٢.

٥- ينظر، صبحي الفقي، علم النصّ بين النّظريّة والتّطبيقِ، دار قباء للطّباعة والنّشرِ، ٢٠٠٠م، ٣٥.

٦- ينظر، رشيد العبيدي، مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠٠٢م، ٩٨.

فَيُمكِنُنا أَنْ نَنظُرَ إلى الجِنَاسِ؛ بوَصفِهِ مِنَ الظَّواهرِ البَدِيعِيَّةِ التي تُلْقِي بظِلَالِها عَلَى المعنَى، فينتُجُ عنها جَرسٌ مَوسِيقيٌّ يَصِيرُ رَابِطًا قَوِيًّا في أَثناءِ حرَكَةِ السَّرْدِ الرِّوائيِّ.

ومِنْ الشَّواهِدِ التي يمكِنُنَا الوقوفُ عندها في هذا الفَنِّ البَدِيعيِّ في رِوَايَةِ "فَراغ مكتظ" ما نَجِدُهُ من قَول الدُّكْتُور علّام لهزَّاع في انحيازاتِهِ المتوقَّعَةِ لِلمُنَاظَرَةِ: "طُول عُمرك مُنْحَاز لمصْلَحتِك، ولا أَستَبعدُ أنْ تَنْحَاز لنَبْهَانَ، وتَشكُرُ لمنْ أَخذَ بِيدِك وَصَنعَ منكَ إعَلَّاميًّا ناجِحًا"[1]؛ فَقَدْ وقَعَ الجِناسُ بينَ كلِمَتَي: "مُنْحَاز" و"تَنْحَاز"، وفَضْلًا عمَّا أَضفَاهُ الجِناسُ البديعِيُّ من مُوسيقَا عَلَى سَرديَّةِ النَّصِّ، فالجناسُ هنا أفادَ بُعدًا حِجَاجيًّا؛ فالمقدِّمَةُ في الجُملةِ الحِواريَّةِ تُشِيرُ بزنةٍ يَتّفِقُ فيها اسمُ الفاعِلِ والمفعُولِ" مُنْحَاز" التي تأتي مِن " اِنفَعَلَ" مُعْتلّ العَينِ؛ ممَّا يُهَيِّئُ الذِّهنَ إلى تَوقُّعِ ما يُمكنُ أن يقومَ بهِ" هَزّاعٌ"، أَيُخَالِفُ ما طُبِعَ عَلَيهِ؛ لِكَونِ أُستاذِه "علَّام" صاحبَ فَضْلٍ عليهِ، أم يتّفقُ معَ طبعِهِ الذي عُهِدَ منهُ؟ فَيأتي التَّجْنيسُ في " تَنْحَازُ" موافقًا لأفُقِ توقُّعِ القارِئِ؛ ممَّا يُنَمِّي شُعُورًا لدَيهِ باحتِقارِ" هزّاع" وفِعلِهِ الجاحِدِ تُجاهُ مَنْ أَحسَنَ إليهِ . ومنْهُ، أيضًا، ردُّ الإعَلَّاميّ هَزَّاع عَلَى الدُّكْتُور (عَلَّام) ورَفيقِهما (رَافِع) عِنْدَما اتّهمَاهُ بأَنَّهُ وارِدٌ انحيَازُهُ إلى الشَّيخِ (نَبْهَان) في أَثناءِ المُنَاظَرَةِ، في حَالِ كانَ ذلكَ في مَصْلَحتِهِ "تَظَاهرَ بعدَمِ الاكتراثِ، وحملَ كلامَهم مَحمَلَ الهَزلِ"[2]؛ فالجناسُ، هُنَا، بَينَ "مَحْمَل" و "حَملَ". وقدْ جَانسَ السَّارِدُ بينَ المصدرِ الميميّ "مَحْمَل" والفِعْل الماضِي "حَملَ"؛ وَفَوقَ ما فعَلَهُ هذَا الجِنَاسُ ممَّا أكسَبَ السَّرْدَ الرِّوائيَّ بديعًا إيقاعيًّا، يجذبُ المتلقّي، ويُؤَثّرُ فيهِ، فإنّنا يمكنُ أنْ نتَأَثّرَ بهذا الجِنَاسِ بِشَكلٍ مَعْكُوسٍ؛ أَيْ إنَّنَا نقرأُ حمْلَ أوّلًا فيَتوقَّعُ الذِّهنُ كلَّ توقُّعٍ؛ فَيرْسمُ لنَا الجِناسُ طَرِيقةً منْ طَرائِقِ تَعَامُلِهِمَا المألُوفةِ

١- الألمعي، فراغ مكتظ،٤٩.

٢- السَّابق، ٥٠.

بينهما؛ فيُوافِقُ الحدَثُ أُفقَ توقُّعِ القارئِ أو يُخالِفُهُ، بحَسبِ ما تهيَّأ لـه واستَعدَّ؛ وهُو ما يُشْعِرُ القَارِئَ بنَشْوَةِ التَّلَقِّي بالاشتِراكِ في سَرْدِ الحَدَثِ.

وَعِندَ خِلَافِ الدُّكْتُور (عَلَّام) معَ الإعَلَّاميّ (هَزَّاع) حَولَ تَوجُّهاتهِم قَبلَ الاستِعدَادِ لِلمُنَاظَرَة يَدخلُ رفيقُهُما (رافِعٌ) مُقتَرِحًا : " أَنْ يَجمعُوا المَحاورَ التي سَيَحتَاجُها عَلَّامٌ في مُناقشاتهِ والحِوَارَ حَولَها"[١]؛ فالجِناسُ المردُوفُ بينَ "مَحَاور" و"الحِوَار" أنتجَ في السَّرْد الروائيّ نغماتٍ منَ البديعِ الإيقاعِيّ، تُحفِّزُ المتلقِّيَ في مُوَاصَلَةِ تَتبُّعِ حَركَةِ السَّرْدِ، وزِيَادةً عَلَى ذَلِكَ فَإنَّ دَلالةَ المحَاورِ التي هِيَ جَمعُ المحوَرِ تَشِي بأنَّهُم يَدُورُونَ حَولَ نُقطَةٍ بِعَينِها، ويأْتِي الحوارُ الذي يَستدْعي الجلوسَ واللِّقاءَ والمواجَهةَ لِتثبيتِ هَذهِ الحركَةِ، وتَحويلِها منَ الدَّورانِ المستَمِرّ للثَّبَاتِ والاستِقرارِ.

١/١/٢- التَّوازِي الإيقاعِيُّ مِنَ الكَثافَةِ الإيقَاعيَّةِ إلى الحُمُولاتِ الدَّلاليَّةِ:

التَّوازِي الإيقاعِيُّ مِنَ الظَّواهِرِ الصَّوتيَّةِ التي تَتَجاوَزُ المستوَى الصَّوتيَّ إلى البنياتِ الدَّلاليَّةِ؛ فهو كما يرى محمد عبدالمطلب يملِكُ كثافةً مُوسيقيَّةً وثراءً دلاليًّا في الوَقتِ ذَاتِهِ، الموسيقى تستدعِي التَّوقُّفَ المطْرِبِ، والدَّلَالِيّ ينتجُ تَماثُلًا أو تَناقُضًا[٢]؛ فالتَّوازِي الإيقَاعِيُّ يَنْشَأُ عنِ "العِباراتِ القائِمةِ عَلَى الازدِواجِ الفنِّيِّ، تَرتَبطُ بِبعْضِها، وتُسَمَّى عِندئذٍ: بالمتَطَابِقَةِ، أَوِ المتعَادِلَةِ، أو المتوازِيَةِ "[٣].

ومِنْ هذَا التَّوازيّ ما يَأْتي عَلَى لِسَانِ الإعَلَّاميّ "هَزَّاعٍ" في أَثْناءِ استِعْدَادِهِ للمُنَاظَرَةِ، وجَلْبِ الإعلَاناتِ، بَعْدَ قَضَاءِ يومٍ مُتعبٍ في ذلكَ، فإذَا بِهِ عندَ وصولِهِ

١- الألمعي، فراغ مكتظ،٤٩.

٢- ينظر، محمد عبدالمطلب، التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ، دراسة أسلوبية، مجلة فصول، مج ٣،ع٢،مارس ١٩٨٣م، ٥٣.

٣- عبدالواحد حسن الشَّيخ، البديع والتوازي، ط١، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية،١٤١٩-١٩٩٩م،٧.

إلى شقَّتِهِ يجدُ سيارةَ عَلَّام أمامَ شقَّةِ "هادية"؛ فَتذَكَّر رسالتَهُ التي أَرْسلَهَا لهُ في أثناءِ هذا اليَومِ المتعِبِ التي، يَأتي فيها قَولُهُ: "لدَيَّ ضُيُوفٌ يحبُّهم قلبُك ... سأنتظركَ هذا المسَاءَ"؛ فَعلقَ"هَزاَّعٌ" بصوتٍ متعبٍ: قلبي الآنَ لا يحبُّ سوى الفِراشِ، وويلٌ لي من العتابِ. ولكِنْ اليَومَ خمرٌ وغَدًا أمرٌ" ثم عدلَ العبارة لتوائمَ حالَه: "اللَّيلةَ نومٌ، وغدًا لومٌ"[1]؛ فيوازنُ بين الجمل المتوازيةِ " اليَومَ خمرٌ" . "وغَدًا أَمرٌ" ثم يوازنُ تارةً أخرى بين " اللَّيلةَ نومٌ "، و"غدًا لومٌ" مما يُضفِي تَدفُّقاتٍ نَغميَّةً عَلَى حركةِ السَّرْدِ في النصِّ، ولكنّهُ توَازِي كاشِفٌ عَنْ حَالةٍ مِنَ اليأْسِ في اتّخاذِ القرَارِ، وبُلُوغ الإِجْهادِ بفزّاعٍ مَبلغًا يَدْفعهُ لتَحمُّلِ نَتِيجةَ إِحجَامهِ عَنْ أَيِّ عَملٍ، و نَيَّتهِ الصَّادقَةِ في تحمُّلِ تَبِعَةِ أيّ تَقْصِيرٍ نَتيجَةَ اِستِسْلَامِهِ لتَعبِهِ. ومِنهُ قَولُ السَّارِدِ عنْ شَخْصيَّةِ الإِعَلَّاميّ "هَزاَّعٍ" بَعدَ شُعُورِهِ بعَناءٍ طَويلٍ في الاستِعدادِ للمُنَاظَرَةِ المرتقبَةِ: "ارتاحَ قَلِيلًا، وَتمدَّدَ عَلَى السَّرِيرِ يرمقُ علبةَ الدَّواءِ، أغمضَ عَينيهِ، حاولَ الاسترخاءَ: يُرخِي أَجزاءَ جَسَدهِ عُضْوًا، عُضْوًا ابتِداءً مِنْ قَدَمَيهِ، سَاقَيهِ، فَخْذَيهِ، يَدَيهِ، كَتِفَيهِ، صَدْرِهِ، رَأْسِهِ، وَجْهِهِ"[2]. فَهَذَا التَّوازِي في: قَدَمَيهِ، سَاقَيهِ، فَخْذَيهِ، يَدَيهِ، كَتِفَيهِ، وكذا التَّوازِي في: صَدْرِهِ، رَأْسِهِ، وَجْهِهِ ، ممَّا أَضْفَى إِيْقاعًا مُوسيقيًّا عَلَى السَّرْدِ الرّوائيّ في النَّصّ يَسْتَدْعِي تَوقُّفًا مُوسِيقيًّا لِكَثافتهِ، ولكِنَّهُ في الوَقتِ ذَاتهِ يشِي بحالَةِ الإِعْياءِ والتَّعَبِ والإِجْهَادِ النَّفْسِيّ والمعنَوِيّ عَلَى الشَّخْصيّةِ؛ ممَّا يقرّبها منَ الواقِعِ، ومِن تخيُّلِ المتلقِّي، ويُصَوِّرُها لهُ دَاخِليًّا وخَارِجيًّا.

١- فراغ مكتظ، ٣٨

٢-السَّابق،٥٥.

وبِنَاءً عَلَى ما التَفَتَ إلَيهِ عبدُ المطلبِ؛ فيمَا أَشَرْتُ إِلَيهِ آنِفًا؛ فإنَّنا نلحظُ أنّ الكثافة الموسيقيَّة في المثَالِ الأوّلِ أدّت إلى التَّناقُضِ بينَ مَوقِفينِ مُتعارِضَينِ، في حينِ أدَّى في المثَالِ الثَّاني إلى الاتِّسَاقِ والتَّكامُلِ الدَّلاليّينِ.

وَمِنهُ ما يُجسِّدُ شُعُورَ بِهِ الإعَلَّاميّ "هَزَّاعٍ" تُجاهَ حالهِ وهُو في القَناةِ استِعْدادًا للمُنَاظَرَة: "يرى النَّاسَ في طريقِهِ يرَكُضُونَ إلى وِجهاتٍ مُختلِفَةٍ في سِبَاقٍ مَعَ الوَقْتِ، يَشْعُرُ بِضَربةٍ، فليسَ سِوَى رقمٍ مُهمَلٍ كهذهِ الأَرْقامِ التي تركُضُ في الشَّوارع عَلَى غَيرِ هُدًى؛ أرقام؛ مجرَّد أرقامٍ؛ ووراءَ ملامِحِهم تختبئُ قصَصٌ وخَيباتٌ، تُوحِي بها تِلْكَ النَّظَرَاتُ الزَّائِفَةُ، والأَقْدَامُ الرَّاكِضَةُ عَلَى غَيرِ هُدًى"[١]؛ فالتَّوازِي بين:" النَّظَرَاتُ الزَّائِفَةُ "، و "الأَقْدَامُ الرَّاكِضَةُ" أَكْسَبَ السَّرْدَ الرِّوَائِيَّ بَدِيعًا، إيقَاعيًّا، يجذبُ المتلقّي، ويؤثّر فيهِ، ولَكِنَّهُ في الوقْتِ نَفْسِهِ أَعْطَى إيقاعًا تمثيليًّا للسُّرعةِ التي يَنْطلِقُ بها النَّاسُ في الشّوارِعِ دُونَ وعيٍ؛ مما يوحِي بالعبثيَّةِ والعَدميَّةِ واللَّا جَدْوَى؛ وهو ما يهيئ الأجواءَ لأمثالِ علَّامٍ ونبهانَ لاستقاطابهم، واستغلالهم؛ فالتّوازي جسَّدَ الموقفَ وعَلَّلَ للحَدَثِ.

١/٢– المستوَى المعْجَمِيُّ وظِلَالُ السَّرْدِ :

لقد أكَّدَ ميخائيل باختين ضَرُورةَ الوقُوفِ أَمامَ الكَلِمَاتِ في الخِطَابِ الرّوائِيّ؛ لأنَّ للكَلمَةِ مكانة في كشْفِ تنوّع الشّخصيَّاتِ، وأيديولُوجيَّاتِها، ومواقفِها، ومَركزِيّتها دَاخِلَ الخِطَابِ[٢]؛ فصَارَ منَ المعلُومِ في ضَوءِ الدّراسَاتِ البلَاغيَّةِ والنَّقديَّةِ الحدِيثَةِ أنَّهُ لا يُوجَدُ لَفظٌ يَظَلُّ علَى حَالتِهِ الطّبيعيّةِ مادَامَ قَدْ وُجِدَ في سِيَاقٍ يُوفِّرُ لهُ حِوَارًا دَاخِليًّا (Monolog) مع قرينه في النّصِّ، وآخرَ خارجيًّا (Dialog) يُوفِّرهُ لهُ ظِلَالهُ المسْتَمَدَّةُ مِنْ سِياقاتٍ مُختلِفَةٍ أُخْرَى، يُشعُّ بَعضُها

١– فراغ مكتظ، ٣٨.

٢– ينظر، ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ختارات من أعمال باختين، ترجمة: يوسُف الحلَّاق، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، ١٩٨٨م، ٤٦.

بطاقاتِهِ الإيحائيَّةِ، والنَّسقيَّةِ التي تَضْمنُ لهُ التَّواصُلَ معَ المتلقِّينَ عَلَى اِختِلَافِهِم، وبَعضُها الآخرُ مُضمرٌ تتفاوتُ مَعَهُ الحِواراتُ تَفَاوُتًا كَبِيرًا، يُقَدَّرُ بِقَدرِ اختلَافِ ثَقافَاتِهم، وقُدراتِهم عَلَى قِراءةِ شيفْرَاتِ النَّصِّ، وظِلَالِ أَلفاظِهِ[١]. ويَأتي هذَا الحِوارُ الخَارجِيُّ (الدَّيالُوج) مِن كَونِ اللَّفْظِ؛ حسبَ مِيخائِيل باختين(MikhilBakhtin)، يَشُقُّ طَرِيقَهُ عَبرَ تناغُمِهِ معَ ألفاظٍ أُخرى تَسْتَدْعِي سِياقاتٍ ولحظاتٍ أُخرى ليَصِيرَ مَوضُوعُ اللَّفْظِ مُتجَاوزًا زَمنَ السَّرْدِ إلى الألفاظِ المتحَاورِ معها، والمسْتَقبلِين الّذي يَستمِرُّون مَعَ قدُراتِهم على دمجِ السِّياقَاتِ، و قُدرتِهم على إيجادِ عَلاقاتٍ أُخرى متخيَّلَةٍ؛ ممَّا يجعَلُ للنَّصِّ مُسْتقبلينَ مُختلفينَ بما يَحمِلُهُ هو في عُمقِهِ، ويَحملونهُ هُم في أَعمَاقِهِم[٢]. ومِن ثَمَّ؛ يرتبطُ المعجمُ السَّردِيُّ اِرتِبَاطًا حَيًّا برُؤيَةِ السَّارِدِ وتوجُّهَاتِهِ المتعَدِّدةِ؛ ممَّا يلزمُ سَاردَ روايةِ" فراغ مُكْتَظّ" لاختيارِ مَعَاجِمِ لُغويَّةٍ، أو حُقُولٍ دَلاليَّةٍ مُختلِفَةٍ تُناسِبُ سِيَاقاتِ الإعلاميّينَ واللِّيبراليِّينَ والشُّيُوخِ، ونَقلِ صِراَعِ تيَّارِيْنِ مُختلفِينِ في المجتمَعِ، وضرُورَةِ الاستِعَانَةِ لبنَاءِ رِوايتِهِ بأَلفاظٍ مَشحُونةٍ بحُمولاتِها وحِواراتِها السّياقيَّةِ؛ لِتكونَ مفتاحًا لتكوينِ نصِّهِ الرِّوائيِّ، الذي يُمثِّلُ تجربَةً إبْدَاعيَّةً، هِيَ "العامِلَ الحاسِمَ" في تَحديدِ الرُّؤيةِ، أوِ المحوَرَ الأَساسَ الذي تَنبُعُ منها بِشَكلٍ عامٍّ؛ بحيثُ يَظَلُّ الخِطَابُ الرِّوائيُّ يَدورُ في شَتَّى تجلياتِهِ، في فلَكِ هذِهِ الرُّؤيةِ، وقد يقتربُ بعضُ هذه الألفَاظِ من بَعضٍ في حُقولِها، وقدْ تَبتَعِدُ وتَتفَاوتُ درَجاتُ القرْبِ والبُعْدِ، لَكِنَّها تَظَلُّ مُنجذبَةً إلى بَعْضِها بَعضًا في

١- ينظر، محمد سيد علي عبدالعال، لبيد والذكرى المستديرة: أصداء النّصّ ومرايا السّيرةِ، مكتبة الآدابِ، القاهرة، ٢٠١٩م،٧.

٢- ينظر، ميخائيل باختين، مختارات من أعمال باختين، ترجمة: يوسُف الحلَّاق، تقديم: بُطرُس الحلّاق، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ٤٦.

إطارٍ مُتماسِكٍ، لا تخرجُ عن مدارِهِ [١]. وأَبْرَزُ ما يمثِّلُ المستوَى المعْجَمِيَّ في رِوَايَةِ "فَرَاغٍ مُكتَظٍّ"، وما دَلَّ عَلَيهِ أَوْ ما نَاسَبَهُ منَ المعْجَمِ اللَّفْظيّ ما يأتي:

م	الحقْلُ الدَّلَاليُّ	أَلفَاظُهُ
١ –	**الأَلْفَاظُ الإِعْلَامِيَّةُ**	مجلَّة، الصُّور ،كِتَاب، دَفتَر، مذكِّرات، جَرِيدَة، الشَّاشَة، التِّلفزيُون، إعلَامِيّ، الصُّحُف، المقالات، الرَّأي، النَّشْر، الأَوْرَاق، برنامج، إعلانات، قسم، مُؤسَّسَات، الهوَاء، الفَضائيَّة، السَّبق، الإعلانات، مُراسِل، مُذِيع، مُدِير مَحطَّة.
٢ –	**الأَلْفَاظُ الدِّينِيَّةُ**	زواجُ المسيار، مسلمٌ، الإسلَامُ، الفقه، إمَامٌ، صَلاةُ الجُمْعَةِ، خُطبةٌ، الشَّيخ، المسجِدُ ، الزُّهْد،حَلَقَاتُ العِلْمِ، المفْتِي، الدَّاعِيَة، الرُّقْيَة الشَّرعيَّة،
٣ –	**الأَلْفَاظُ الفِكْرِيَّةُ**	دِرامَا، قَصِيدَة، مُنَاظَرَة، مُحاضَرَة، لِيبرَالِيّ، الخُرافَة، الارتزاق،،الفَلسَفَة، التَّفْكيرِ المنطقيّ، التَّطرُّف، الإعلَام، السِّياسَةُ، المحَاسَبَةُ، التَّنْوِيرُ، الحرِّيَّةُ، الجُمُودُ، الرَّجْعِيَّةُ.
٤ –	**أَلفَاظُ الطَّبيعَةِ**	الشَّمس،الشَّاطئ،البَحْر،السَّماء،الأَمواجُ،القَرية،النَّسيم،الدُّخان،البخُور،ا لقَشَّة،الأَرض.

ومِنْ خِلَالِ النَّظَرِ إلى هَذِهِ الحقُولِ الدَّلاليَّةِ الممثَّلةِ بِأَلْفَاظِهَا الدَّالَّةِ في الجَدْولِ السَّابقِ يُمكنُنَا استِنْتاجُ بَعْضِ الدَّلَالَاتِ منَ المسْتوَى المعْجَمِيّ، التي تَنَوَّعتْ حُقُولُهُ الدَّلاليَّةُ، ويُمكنُ استِشفَافُ هذهِ الدَّلَالاتِ عَلَى النَّحْوِ الآتي:

- **الأَلْفَاظُ الإِعْلَامِيَّةُ:** يُسْتنتجُ منها العَلَاقةُ الرَّابطةُ بينَ النَّصّ الرِّوائِيِّ، وتَفاصِيلُ شَخْصيَّةِ الإعلامِيّ "هَزَّاع"؛ بوَصْفِهِ منَ الشَّخْصيَّاتِ الرَّئيسَةِ في الرِّوَايَةِ، التي تَسِيرُ مَعَ سِيَاقِ النَّصِّ وتَصنعُ أَحدَاثَهُ، وتُحرّكُ الصِّراعَ فيهِ؛

١– ينظر، أحمد عبدالحي، مفاتيح كبار الشعراء العرب، دار بلنسية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ١١.

بِوَصْفِهِ مُمثِّلًا لاتّجاهٍ منَ اتّجَاهاتِ الاستِقطَابِ والتَّوجِيهِ في المجتَمَعِ الحَدِيثِ، ممَّا يُعبِّرُ عَنِ التَّحوُّلاتِ في مواقِفِ الشّخصيَّاتِ.

- **الأَلْفَاظُ الدِّينِيَّةُ:** تُسْهِمُ الأَلْفَاظُ الدِّينِيَّةُ في تَجْسِيدِ إِحْدَى طَرَفي الصِّراعِ القَائِمِ في الرِّوَايةِ؛ أعني الشَّيخَ "نَبْهَانَ"، والمعجم اللَّفْظيّ يَكْشِفُ مَلَامحَ الشَّخْصيَّةِ، ومُعتقداتها، وَيُفَسِّرُ أَسبَابَ الصِّرَاعِ والدُّكتُور "علَّام".
- **الأَلْفَاظُ الفِكْرِيَّةُ:** يُبيِّنُ الاستِخدامُ لهَذهِ الأَلْفَاظِ الفِكْرِيَّةِ وَعْيَ الكاتِبِ بها، ممَّا يكُونُ أَداةً؛ لِطَرحِ الواقعِ المجتمعيّ، وفتح المجالِ للتَّأمُّلِ الفَلْسَفيِّ والنَّقدِ الاجتِمَاعيّ خَارجَ النَّصِّ، والوَعْيِ الأَفضَلِ للشَّخصيَّاتِ داخِلَ النَّصِّ، وطبيعَةِ الصِّراعِ بينَها، وأَسْبابِهِ، وبخاصَّة شَخْصيَّةُ الدُّكتُور "علَّام".
- **أَلفَاظُ الطَّبيعَةِ:** لهذا الحقلِ الدَّلاليِّ أثرُهُ في تَصْويرِ البِيئَةِ التي تَدُورُ حَولَها الأَحدَاثُ، وتَخلقُ الصِّراعِ، وبخَاصَّةٍ إذا أَضَفْنا إلى مُعْجَمِ الطَّبيعةِ مُعجمَ الأَلْفاظِ الحَضَاريةِ، كالجَامِعَةِ والصَّحيفةِ والمسجِدِ والقَناةِ الفَضائيَّةِ؛ مما يُسْهِمُ في ارتيادِ العوالمِ المخياليَّةِ، وتنوُّعها، وتصوُّر بنيةِ الحدَثِ، ومُقتضَياتِ تَصديقِهِ، وامتداداته، داخلَ النَّصِّ، وخارجَهُ؛ ممَّا يَعكِسُ طَبيعةَ الاسترجاعِ والارتِدادِ، التي احتَلَّها صَوتُ الرَّاوي الأساسيِّ في خِطابِ الرِّوايةِ، وكذا الاستِبَاق، ومنَ النَّاحِيَةِ الدَّلاليَّةِ تتنوَّعُ دَلالاتِ كلماتِ المعجَمِ السَّرديِّ في روايةِ "فرَاغ مُكْتظّ" عندَ إبراهيم مِضواح الأَلْمَعيّ ضِيقًا واتِّسَاعًا، بينَ الدَّلالَةِ الإيجابيَّةِ والدَّلالةِ السَّلبيَّةِ، تَبعًا لحالةِ الرَّاوي النَّفسيَّةِ تُجاه تلكَ الكلماتِ؛ مما يمنح الخطابَ قوتهُ وتأثيرَهُ، ويعايشُ الروايةَ ومصيرَ شخصيَّاتِها، ومدى اشتباكها واستقلالها مع باقي الشّخصيّاتِ داخلَ الخِطَابِ، والمرجعيَّة الواقعيَّة التي يستمدُّ منها الخطابُ، أو يُحيلُ إليها.

١/٣- المسْتَوَى التَّركيبيّ:

يأتي الخِطَابُ الرِّوائيُّ كسَائرِ الخِطَاباتِ، بألفِ طَريقةٍ وطريقةٍ؛ لِيَسْعَى إلى تَوصيلِ رِسالةٍ عبر مجموعةٍ من العَلَاماتِ، تَجمعُ بين الدوالّ اللُّغويَّة في بيئةٍ

مُحَدَّدةٍ تُعبِّرُ عنْ أَغراضٍ مُحدَّدةٍ، يتَّفِقُ فيها الأداءُ اللُّغويُّ أو الاختِيارُ الأُسلُوبيّ، وعَنَاصرِ التَّفكيرِ والتَّفاهُمِ والعَمَليَّاتِ الوجدانيَّةِ بينَ المتواصِلِينِ بهذهِ الأسَاليبِ التي تَتَرَاوحُ بينَ الخبرِ والإنشَاءِ عادَةً لكشْفِ كلِّ هَذهِ العَمليَّاتِ المعقَّدة في عمليَّةِ الاتِّصَالِ في الخِطَابِ الرِّوائيّ[١].

ويُمكنُنَا إِدْراكُ بلاغةِ الخطابِ في روَايَةِ "فرَاغ مُكْتظّ" وَفقَ محاوَلَةِ التَّمييزِ بين ما يقُولُهُ الخِطَابُ الرِّوائِيّ ، وكَيفَ يُقالُ؟ أَيِ التَّمْييزَ بَينَ "المحتَوَى" و"الشَّكلِ"؛ فَقَدْ أَصْبحَتِ البلاغَةُ الحديثَةُ تَنْظرُ إلى الأُسلُوبِ عَلَى أنَّه تغيراتٌ تَطرأُ عَلَى الطَّريقةِ التي تُطرحُ منْ خلَالِها الأفْكَارُ، ممَّا يؤثِّرُ في طابعِها الجماليِّ، أَو في اِستِجَابةِ القارِئِ العاطفيَّةِ [٢]. ومِنْ ثَمَّ؛ فَسَنَتَطرَّقُ، هُنَا، إلى دِرَاسَةِ نماذجَ منَ الأَسَاليبِ الخَبريَّةِ والإنشائيَّةِ في الخِطَابِ الرِّوائِيّ؛ بُغيةَ اِختِبارِ هذِهِ الفرُوضِ النّظريَّةِ المطرُوحَةِ سابقًا عَلَى النَّحْوِ الآتي:

١/٣/١- بنيةُ خِطَابِ الخَبرِ والإنْشاءِ بَينَ الوَصْفِ والحَكيِ:

نَختبرُ في البدايةِ الأسلُوبَ الخبريَّ؛ بِوَصْفِهِ مُحتملًا الصِّدقَ والكَذبَ لذَاتِهِ [٣]، ولكونهِ؛ كما يرى السّكَّاكيُّ القانونَ الأوَلَ، في حين يجعل من الإنشائيَّ القانونَ الثَّاني[٤]، ومِنهُ في الرّوَايةِ: قَولُ الرَّاوي عن شَخْصِيَّةِ "مريم" زوجَةِ الدُّكتور "علَّام"؛ حِينَما تحقَّقَ مِنْ نَزواتِهِ التي كانَ يَتنَصَّلُ مِنهَا؛ كلَّما واجهتهُ بها:

١- ينظر، محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، لونجان للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ٢١٩.

٢- ينظرُ، محمد عبدالمنعم خفاجة، ومحمد السّعدي فرهود، وعبدالعزيز شرف الأسلوبية والبيان العربِيّ، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م،١١.

٣- ينظر، عبدالعزيز عتيق علم المعاني، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٣٠-٢٠٠٩م، ٦٩.

٤- ينظر، السكاكِيّ (يوسف بن أبي بكر بن محمد ت ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ١٦٦.

"وقعَتْ هذِهِ الكلِمَةُ من أُذنها موقعَ الرَّصاصةِ من قلبِها، فهي تدركُ أنَّها وإن كانتْ كلمةً عابرةً في لحظَةِ غضَبٍ، إلَّا أنَّها تكْشِفُ حَقِيقةَ شُعورِهِ ونَواياهُ، التي حَاولَ تَغْطيتَها كلَّ هذهِ السَّنواتِ"[١]. ويُؤَكِّدُ الأُسلُوبُ الخبريُّ في هذا السِّياقِ السَّرديّ بمؤكداتٍ عَدِيدةٍ؛ فِيمَا يُسَمَّى الخبرَ الإنكاريَّ؛ ليؤكِّد عَلَى تيقُّن "مَرْيَمَ" بنتِ أُستاذِ الجامِعةِ اللُّبناني، وزَوجِ الدُّكتُور عَلَّامٍ، بَعدَ رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ من إنكارِ أنَّهُ كانَ يخدعُها بنَزواتٍ عَدِيدَةٍ، وكانَ دائمًا ما يُكَذِّبُ ذلكَ.

ومنهُ، أَيضًا، ما نجدُهُ في قول الرَّاوي عن قرارِ "مَرْيَمَ" زَوجِ الدُّكتُور علَّامٍ بعدما علمتْ أنَّهُ لم يكُنْ يرغَبُ في الزَّواج، وأنَّه تزوَّجَها؛ ليَتقرَّبَ مِن وَالِدِها: "كَظَمَتْ غيظَها وانصرفَتْ إلى غُرفتِها؛ حينَ وجَدَها ترتِّبُ حَقِيبتَها، وحقيبةَ هَيَام، عرَفَ أنَّها قَدْ أتمَّتْ حُجوزاتِهما، حَاوَلَ استرضاءَها وثنيَها عن هذا القرارِ المتَسَرِّعِ، دُونَ جَدوى، هَددَّها أنَّه لَنْ يَسمَحُ بها باصطِحابِ هَيَام"[٢].ويَأتي الأُسلُوبُ الخبريُّ الإنكاريُّ لِيؤكِّدَ عَلَى عَزمِ "مَرْيَمَ" قَرارَها، بعدَ ما كشَفتْ زَوجَها الدُّكتُور علَّامًا عَلَى حَقِيقتِهِ، وتهديدِ علَّامٍ زوجتَهُ بابنتِهِ، ويَسْتخدِمُ السَّارِدُ في سبيلِ ذلكَ تأكيدَ ذلكَ بِمؤكِّداتٍ؛ مِثلَ: أنَّ، وقَدْ؛ ليُؤَكِّدَ صِدْقَ عَزمِها، وإصرارَها على قَرارِها؛ وهو ما يَدْفعُ المتلقّي للاتّفَاقِ أو الاختِلَافِ،والمشَاركَةِ. والأُسلُوبُ الخبريُّ، مَعَ كَونِهِ يُمثِّلُ وِجْهَةَ نَظَرِ قائلِهِ فَإنَّهُ يَسْتَدعِي وِجْهَةَ نَظَرِ المخَاطَبِ أيضًا؛ لأنَّهُ يمثّل قيمةً إِدْرَاكِيَّةً يُريدُ المخبرُ أن يُوصلَها للمُتَلقِّي للحِجَاجِ المنْطِقِيّ أَو العاطفيّ[٣]؛ مِن ذلكَ ما نَجِدُهُ في قَولِ مُدِيرِ القَناةِ لِلمُحَاورِ التِّلفزيونيّ "فزَّاعٍ" حينَما حَاولَ استِشَارتَهُ لإقامَةِ المناظَرةِ، عندَما لمَّحَ إليهِ أنَّ القناةَ جمهُورها غيرُ

١- فراغ مكتظ،١٦.

٢- السَّابق نفسهُ، الصّفحة نفسُها.

٣- ينظر، صالح بن الهادي رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراك، النادي الأدبي، الرياض،٢٠١٥م،٩٧.

كَبيرٍ: "لا بدَّ أنَّ لديك شيئًا تريدُ إقناعِي بهِ كعادتِكَ الماكرةِ"[١]؛ فالمراوحة بين ضمائرِ التّكلُّم والخِطابِ أَسْهَمتْ في كشفِ أبعادِ شخصيَّةِ "فزَّاعٍ" من خِلَالِ الخبرِ الذي يسوقهُ مديرهُ، يُخبِرُهُ فيهِ أنَّهُ ماكرٌ، ويريدُ تَحقيقَ الجماهِيريَّةِ للقَنَاةِ مِن مُنَاظرةِ علَّامٍ ونَبهَانَ، ويؤكّد المديرُ وِجهةَ نَظرِهِ من ناحِيةٍ، والتَّدليلِ عَلَى ذَكَائِهِ في فَهمِهِ باستِخْدامِ مُؤكّداتٍ مُختلِفَةٍ؛ مثلَ: لابُدَّ، أنَّ.

١/٣/٢- الأُسلُوبُ الإنشَائِيُّ:

الإنْشَاءُ هُوَ القانونُ الثَّاني؛ بِحَسَبِ تَصْنيفِ السَّكَّاكِيِّ؛ كما أَسلَفْتُ، وكَونهُ لا يَحتَمِلُ الصِّدْقَ والكَذِبَ[٢] يَجعلُهُ " لايُؤدِّي مُهِمَّتَهُ الإنتاجيَّةَ في حُدُودِ السِّيَاقِ الذي يَحتمِلُهُ، وإنَّما يعملُ السِّياقُ على توليدِ ناتجٍ إضَافِيّ"[٣]. ومنهُ في الرواية ما نجِدُهُ من دَلالَةِ أُسْلُوبِ الاستفهامِ؛ بِوَصْفِهِ: "طَلَبَ العِلمِ بِشَيءٍ لم يَكُنْ مَعلُومًا"[٤] وهُو بنيةٌ يَعتَمدُ عليها السَّردُ الرِّوائيّ؛ لما لها من فاعليَّةٍ جماليَّةٍ في استِشَارَةِ ذِهْنِ المتلقِّي، وتَشْويقِهِ للأَحْداثِ؛ وبذلكَ تُضحِي هذهِ البنيةُ جِسرَ تواصُلٍ بينَ السَّاردِ والمسرُودِ لهُ؛ لما لهُ من دلالةٍ "لارتِسَامِ صُورَةٍ ما في الخارجِ في الذِّهنِ والمطلوبِ حُصُولُهُ، إمَّا أنْ لا يكُونَ حُكْمًا بشَيءٍ على شَيءٍ، أو أن يكونَ الأَوَّلُ هو التَّصويرَ، والثاني هو التَّصديقَ، وهو مسبوقٌ بتصوُّر الطَّرفينِ"[٥]؛ لِذَا

١- فراغ مكتظ،٢١.

٢- ينظر، عبدالعزيز عتيق، علم المعاني، ٨٧.

٣- ينظر، محمد عبدالمطلب، البلاغة العربية: قراءة أخرى، لونجان للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ٢٧٨.

٤- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار أجياد التراث العربي، بيروت، د.ت،٨٠.

٥- البابرتي(أكمل الدين محمدين محمود ت٧٨٦هـ)، شرح التلخيص، تحقيق: مصطفى رمضان، صوفية، النشأة العامة للنشر، طرابلس، ١٩٨٣م،٢٢٦.

فاستخدامِ أسلوبِ الاستفهامِ في الخطابِ الرّوائِيّ على لسَانِ شخصيَّةِ الإعلاميِّ "هزاَّعٌ"يأتي لينقلَنا من داخل السَّردِ إلى خارجِهِ: "قالَ هَزاَّعٌ ما رأيكَ أنْ أَستضيفكَ أنتَ والشَّيخَ نَبهانَ للحِوَار في برنامجِ "المناظرة"، وتقول له هذا الكلامَ وَجْهًا لوجهٍ أمامَ النَّاسِ؟"[1].

وَاستعْمالُ الإعلاميِّ "هزاَّعٍ" الاستِفهامَ بِـ"ما"على لسَانِه يخرجُنَا بدورِهِ البلاغِيّ إلى مَشَاعرِ الحثِّ والاستِنفارِ دَاخِلَ السَّردِ؛ ليحفّزنا نحنَ على متابعة المواجهةِ المرتقبة بين الشَّيخِ نَبهانَ والدكتور علَّام، فيَأْتي الاستفهامُ على لِسَانِ هذهِ الشَّخصيَّةِ في السَّردِ استثارةً للشَّخْصِيتينِ الرّئيسيتينِ؛ لتحريكِ الأحداثِ داخلَهُ، كما يَستدْعِي ما يحدُثُ في أَمثالِ هذَا النَّوعِ منَ البرامجِ خَارِجَ السَّردِ في قَنواتٍ فَضَائيَّة اعتَادَتْ صِنَاعةَ هذا المحتوَى الاستِثَاريّ، بهدف التّربُّح من المعلنينَ لا مِنْ أَجلِ التّنويرِ وإفادَةِ المشَاهِدينَ. ويأتي الاستِفهامُ، أَيضًا، على لِسَانِ شَخصيَّةِ "رافِعٍ"، الذي دَخلَ يَسألُ المحاورَ التلفزيونيَّ "هزاَّع"عن إقامَةِ المناظرةِ بين الدّكتُورِ علَّام والشَّيخ نَبْهانَ؛ فيسأَلُ: "تدخَّل رافعٌ من زاويةِ الغرفةِ مخاطبًا علَّام: ألا تَخَافُ من مصيرِ أولئكَ الذينَ ذهبُوا ضحيَّةَ مناظراتٍ من هذا القَبيلِ؟"[2]. وهَكَذا يأتي الاستِفهَامُ في سُؤالِهِ: :ألا تخافُ مِن مَصيرٍ؟" للتَّقريرِ منْ ناحيةٍ، والتَّعجُّبِ من ناحيةٍ أُخرى؛ أما التَّقْريرُ فَيشتبِكُ معَ أحدِ الأبعادِ النفسيَّةِ لشَخصيَّةِ هذا المحاورِ "هزاَّع" وهو الدَّهاءُ، و يكشفُ التَّعجبُ جانبًا آخر من إصرارِهِ على إيقاعِهم وجهًا لوجْهٍ في هذهِ المناظَرةِ؛ كما تَفعلُ هذه البرامجُ الإثاريَّةُ للشُّهرةِ والتَّربُّحِ.ومِنَ الاستِفْهامِ الذي يكشفُ جوانبَ الشّخصيَّةِ ومكنونانتِها النَّفسيَّةِ، أَيضًا، ما يردُ في الدّيالوج/ الحوارِ بين المحاورِ "هزاَّع" ومديرِهِ عن الاستعدادِ

١- فراغ مكتظ،١١.

٢- فراغ مكتظ ،١٢.

لحلقةِ المناظرةِ "توجُّهُ قناتِنا معروفٌ، وهيَ مع التَّنوير والانفتاحِ، وضِدَّ الانغلَاقِ والتَّطرُّفِ، ولكِنْ لا نُرِيدُ أَنْ نَجعلَها حلبةً لصراعِ التَّياراتِ الفكريَّةِ؛ومع ذلكَ فسأخوضُ معكَ هذهِ المغَامرةَ حتى النِّهايةِ، وبَعدَها سَنَجلسُ؛ لمراجَعةِ النَّتَائجِ، وسيتقرَّرُ مَصيرُك، وربَّما مصيريّ أنا أَيْضًا، فهلْ أنتَ مُستعدٌّ لتحمُّلِ النَّتائجِ؟"[١]،ويَكشِفُ الاستفهامُ، هُنَا، عن محاولة كلٍّ منهما إلقاء تَبِعَةِ الفشَلِ حالَ حدوثِهِ على الآخرِ.ومن ثمَّ، يسألُ هزاعٌ وهو يتبادلُ أمرَ الصَّرفِ: "وهَلْ أنْتَ مُستعدٌّ؛ لتَقريرٍ عمليٍّ عِندَما ترَى النَّتائجَ المدهِشةَ لهذهِ القنبلةِ الإعلاميَّةِ؟"[٢]؛ فالاستفهامُ يخرجُ بدورِهِ، هُنَا، إلى التَّحذيرِ؛ إِذْ يحذِّرُهُ المديرُ من نتائجِ هذِه المناظرةِ، الذي سينتجُ عنها ضجَّةٌ جماهِيريَّةٌ وإعلامِيَّةٌ كبيرةٌ، ثم يأتي الاستفهامُ الثَّاني الذي يدلُّ على ثقةِ هَّزاعٍ في نفسهِ بأنَّه سيقيمُ مناظرةً ستتَطَلَّبُ منَ المدِيرِ التَّقديرَ الماليَّ الكَبيرَ لهُ،ولما سَيجلبهُ للمَحطَّةِ منَ الدّعايَةِ والرِّبحِ.

١/٣/٢/١-أُسْلُوبُ النِّدَاءِ بينَ تَوجيهِ الحدَثِ وَكَشْفُ بَوَاطِنِ الشَّخصيَّاتِ:

يَكْشِفُ النِّدَاءُ وأَدواتهُ المسَافةَ الاجتماعيَّةَ والسِّياسيَّةِ والثَّقافيَّةِ والانفِعَاليَّةِ بينَ المنادِي والمنادَى، والعَلَاقَة بينهما[٣]، ومعَ كَونِ الاعتِمَادِ على جملِ النّداءِ، أو الاستِفهامِ، أو سِوَاها منْ جُملِ الإنْشَاءِ، أَو حتَّى منْ جُمَلِ الخبرِ في السَّردِ يَشِي باتّخاذِ الجمْلَةِ مُنطلقًا، ولكِنَّ الأمرَ ليسَ كذلك؛ فَكُلّ هذِه الجُملِ لا يمكنُ قراءتُها معزولةً عنِ الخِطابِ الرّوائيّ[٤]؛ فجُمْلةُ النّداءِ هي في الأساسِ طلبُ

١- فراغ مكتظ ،٢٢.

٢- نفسه.

٣- ينظر، محمد سيد علي عبدالعال، الخطاب النقدي في مواجهة النص الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ١١٢.

٤- ينظر، محمد القاضي، تحليل الخطاب السّردي بين النظرية والتطبيق، مسكيلياني للنشر،١٩٩٧م، ٤٤.

الإقبالِ بحرفٍ نائبٍ مَنابَ أَدعُو، سواءٌ أكانَ الحرفُ ملفوظًا أم مُضمرًا، بأدواتٍ مَحصورَةٍ عَددًا، واستِعمَالًا[١]، وأسلوبُ النِّداءِ منَ الأَساليبِ التي يعتمدُها الرَّاواي على لسانِ شخصيَّاتِهِ؛ للتَّعبير عن انفِعالاتِهم وأفكارِهم؛ ومنهُ قولُ الدُّكتور علَّام للمُحاورِ التّليفزيونيّ هزَّاعٍ عندَما طلبَ منهُ مناظرةً بينهُ وبينَ الشَّيخ نبهانَ: "طبعًا هذا ما يهمُّك أيُّها الانتهازِيُّ؛ الإثارةُ على حِسَابي أَنا وهذَا الأَحْمقِ"[٢].والنداءُ، هُنَا، يردُ على لِسَانِ شَخْصِيَّةِ الدكتور علَّام في قولهِ: "أيُّها الانتهازيُّ"؛ ليخرجَ بدورِهِ البلاغيِّ عنِ التَّقريرِ؛ تقريرِ الحقيقةِ التي تَبتغِيها شَخصيَّةُ هزاع الانتهازيَّة، التي اعتادتِ انتِهازَ الفُرَصِ لخَلْقِ الإثارةِ والكَسبِ، إلى رَسمِ الجوِّ العامِّ لطَبيعَةِ العَمَلِ الإعلَاميّ ذاتِهِ، ودورِهِ في خَلقِ هذا الاستِقْطَابِ المجتمعِيّ والثّقافيّ. وَمنهُ، أَيْضًا، قَولُ هَزَّاعٍ عَنْ عَلَّامٍ، عندَما هدَّدهُ بالتَّراجعِ عن المناظرةِ، وذكرَ له أحداثًا ماضيةً في الجملَة التي يستعيرها منْ أُغنيَةِ هدى سلطان وكلماتِ الشّاعر الغنائيّ محمد علي أحمد بإيقاعِ لحن الموسيقيّ رياض السّنباطي "إن كنتِ ناسِي أفكّرك" وحَاولَ هزاعٌ التَّغاضِي عن الأَمرِ ليُتِمّ المناظرَةَ، ويتمَّ حلقَتهُ، التي يرغبُ من ورائِها في تحقيقِ جماهيريَّةٍ كبيرةٍ؛ فقالَ":ما أحقَركَ يا علَّامُ، متى خذلتك؟ منذ عرفتكَ وأنا كالمراسلِ الصَّحفيّ المخصَّص لتلميعِك، والدّعاية لأعمالِكَ، وكتُبِكَ، ومحاضراتِك. لكن ليسَ أمامي سوَى الصَّبرِ حتَّى تتمَّ هذه المناظرةُ المشؤومَةُ، ثمَّ ستَعرفُ يا سَيِّد علَّام حُدُودَك" [٣].

فالنِّداءُ يَخرجُ في هذا السِّياقِ إلى التَّعَجُّبِ؛ إِذْ يتعجَّبُ هزَّاعٌ منْ نُكْرانِ علَّامٍ لمواقفهِ معهُ وتَضحيَّاتِهِ من أَجلِهِ؛ ومنه قولُ هزَّاعٍ وهُوَ يفكِّرُ في الحلقةِ القُنبلةِ، ويردُّ على قولِ علَّامٍ: "هذا ما يهمُّك أيُّها الانتهازِيُّ" فَقَالَ في نَفسِهِ":طبْعًا

١- ينظر، علوم البلاغة المراغي،٦٩.

٢- فراغ مكتظ،١٢.

٣- السَّابق،٢٨.

هذا ما يهمُّني، يا سَيّد علَّام؛ فنجاحُ برنامجِي غايةٌ، يجبُ أن أسْعَى إليهَا بكلِّ وسيلةٍ، ونَجَاحِي الإعلَاميُّ لا يتحَقَّقُ دُونَ إثارةٍ ومهارةٍ"[١]؛ فَيَكْشِفُ النِّداءُ حقيقةَ (علَّام) أنه يفعلُ ذلكَ لتحقيقِ شُهرتِهِ، وأنَّ المسَافةَ بينَ الصَّدِيقَينِ لَيسَتْ مَسَافةً اجتِمَاعيَّةً، بلْ هيَ مَسَافةٌ ثقافيَّةٌ، ولَيستْ مسَافةَ قُربٍ وَمَودَّةٍ، بلْ هيَ مَسَافةُ بُعْدٍ وانتهازيَّةٍ متبادَلَةٍ بينَ الطَّرَفينِ؛ بحَيثُ لا يَجمَعُهما جَامِعٌ من حُبٍّ، أَو تَقديرٍ، أو امتِنانٍ.

١/٣/٢/٢-أُسْلُوبُ الأَمْرِ وَسُلْطَةُ الشَّخصيَّةِ:

تَصِفُ العلاقةُ الإسناديَّةُ عامةً الحدَثَ والشَّخصيَّةَ؛ فإذا ما استلْزمَتِ العلَاقةُ بطَبيعَتِها الإنشائِيَّةِ؛ كالأمرِ والنّهي؛ فإنَّا تتجاوزُ وصفَ شَخصيَّةٍ واحِدةٍ إلى وصف طرفي العلاقة الإسناديةِ؛ كالآمرِ والمأمور في أسلُوبِ الأمرِ[٢]؛ فهُو كما يُعرّفُهُ البلَاغيُّونَ "صيغةٌ وُضِعَتْ لطلَبِ فِعْلٍ، أَو طلب بها فِعلٍ بأَدَاةٍ عَلَى وَجهِ الاستِعلَاءِ"[٣]، وفِكْرةُ الاستِعْلَاءِ هَذِهِ هيَ التي تُحدّدُ المسَافَةَ بينَ طَرَفَي العلَاقَةِ مِن جِهَاتٍ مُتعدِّدَةٍ. ومِنْ ثمَّ؛ فَيبعَثُ هَذا الأُسلُوبَ الطَّلَبيَّ محفّزاتٌ نفسِيَّةٌ تدعُو للقِيَامِ بأمورٍ حيويَّةٍ، وخلقِ الهمَّةِ، وبَعثِ العزمِ في القَولِ والفِعلِ، وممَّا نَجِدُهُ في الرّوايةِ قولُ هَزَّاعٍ حِينَما أرادَ النَّومَ، وظلَّتْ فِكرةُ المناظَرةِ التي ستكونُ بينَ علَّامٍ ونَبهَانَ تُلِحُّ عليهِ، ، ودخلَ عليه مَسعُودٌ؛ الشَّاعرُ الذي يُرافِقهُ في شقَّتِهِ ويريدُ أنْ يُسمعَهُ قَصِيدةً جديدَةً " :استغرقَ هزَّاعٌ في التَّفكيرِ، في المناظرةِ التي ستكُونُ الأهمَّ في عملِهِ التِّليفزيونيِّ؛ يتخيَّلُ نبهانَ وعلَّامَ وَجْهًا لوجْهٍ على طاوِلَةٍ

١- فراغ مكتظ ،٤٠.

٢- ينظر، محمد فكري الجزار، البلاغة والسرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠١١م،٢٦٦-٢٦٧.

٣- محمد علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق، عبدالقادر حسن، مكتب الآداب،ط١، ١٩٩٧م،١٠٠.

واحدَةٍ أمامَ النَّاسِ، وَصَوتُهما يَرتَفعُ، وهُو يُهدِّئُهما، وحينَ يهدآنِ يَستشيرُهما مرَّةً بعد مرَّةٍ، ويُقدِّمُ لكُلٍّ منهما عثراتِ الآخرِ. فتَحَ مسعودٌ البَابَ مُجدَّدًا: ممكنُ أُسمعُكَ قَصِيدَتي الجَديدَةَ ؟ أَرجُوكَ أَجِّلْهَا للغَدِ[1]"؛ فَأُسلُوبُ الأمْرِ، هُنَا، يَخرجُ بِدَورِهِ إلى الرَّجَاءِ مِنْ ناحِيتِهِ، وبَدَا من ناحيتهِ على شِدَّةِ التَّوتُّرِ النَّفسِيِّ والتَّرقُّبِ، وكلَّ ما يسيطرُ على شَخصيَّةِ هزَّاعٍ بِسَببِ هذهِ المنَاظرَةِ، التي سَتَغيِّرُ حياتَهُ، كما أنَّهُ أمرٌ للالتماسِ يكشفُ طبيعةَ العلاقةِ الحميمةِ بينَ هزَّاعٍ ومَسْعُودٍ.

ويَرِدُ أُسلُوبُ الأَمْرِ ليكشِفَ حالَةَ الاستِعْدَادِ التي تسيطرُ على الشيخ نبهان نفسِهِ للمُناظرةِ المرتقبةِ ": بدَأَ نبهانُ التَّرتيبَ للمنَاظَرةِ، بمشاوَرَةِ بعضِ أَصْدقائِهِ؛ والثِّقاتِ مِنْ مُريدِيهِ؛ وقد بدَتْ في نَبرتِهِ الرَّغْبةُ في خَوضِها؛ فهُو يَرى أَنَّها فُرصةٌ ليعزِّيَ هَذَا اللِّيبراليَّ؛ قليلَ الدِّينِ، فإنْ وافقُوهُ على خوضِ هذه المناظَرةِ التي يَعتَبرُها جِهَادًا بالكلمَةِ، ودفاعًا عن دِينِ اللهِ القَويمِ، فعليهمُ القِيَامَ بدَورِهم في تَزويدِهِ بما يحتاجُهُ منْ معلُوماتٍ وأفكارٍ"[2].

فَقَدْ نوَّع الرَّاوِي في استِخدَامِهِ لصِيَغِ الأَمرِ؛ فقدْ جَاءَتْ هُنا عَلَى صِيغَةِ اسمِ فِعلِ الأَمرِ الطَّلبيّ، الذي يخرجُ إلى النُّصْحِ والإرْشادِ لمسَاعَدةِ شَيخِهم، وإنْ كانَتِ النَّصِيحةُ هُنا على وجهِ النّفاقِ والابتزاز الدّينيّ؛ كما نفهمُ من السّياقِ الذي في خِطَابِ الرّوايّةِ. كَما يَأْتي الأمرُ على لسَانِ شَخصيَّة الشَّيخِ "نبْهَانَ لتلَامِيذِهِ الحاضِرينَ معَهُ في أَثناءِ استِعدَادِهِ للمُناظرةِ "الوَقتُ قَصِيرٌ، ولَكِنَّ همَّتَكُم ستعوِّضُ الوقْتَ، فَعَلَيكُم نبشَ ملفَّاتِ هَذَا اللِّيبراليَّ: يا عزَّامُ، وأشَارَ لِأَحَدِ الشَّبابِ الحاضِرينَ، أنتَ وزُمَلَاؤُك توزِّعُوا المهمَّاتِ فيمَا بينَكُم؛ مجموعةٌ يقرؤونَ كُتبهُ، ويستخرجونَ منها المآخذَ الشَّرعيَّةَ والأخلاقيَّةَ والسِّياسيَّةَ أَو الاجتِماعيَّةَ. ومَجموعَةٌ

١- فراغ مكتظ، ٤٠.

٢-السّابق،٤٣.

ينقِّبُونَ في مقالاتِهِ، ومجموعةٌ ينبشُونَ في حواراتِهِ، ومحاضراتِهِ؛ وإنْ تيسَّرتْ لكُم معرفةُ شيءٍ من حَيَاتِهِ وعَلَاقتِهِ الخاصَّةِ، فقدْ نَحتاجُهُا"[١]

وقَدْ جَاءَتْ صِيغَةُ الأَمرِ مرَّةً باسمِ فِعْلِ الأَمْرِ، وَمرَّةً أُخْرى بصيغَةِ فِعْلِ الأَمْرِ، ويخرجانِ، أيضًا، إلى النُّصْحِ والإرشَادِ والإلزامِ بأنْ يُساعِدُوا شَيخَهُم في جَمعِ المعلُوماتِ عَن مُناظرَةِ شَيخِهم نبهانَ الدُّكتورَ علَّامَ؛ وهكذَا استطَاعَ الأمرُ أنْ يحملَ كثيرًا من شُحنَاتِ التَّوتُّرِ التي بين الشّخصيّاتِ، وكَذَا في العلاقاتِ الحمِيمَةِ، التي جمعتْ بينَ الأَصدقاءِ.

١/٣/٢/٣- أُسْلُوبُ النَّهْيِ بَينَ التَّقْرِيبِ والاستِعلَاءِ:

للنَّهْي في اللُّغَةِ العَربيَةِ طَريقةٌ واحِدةٌ هيَ أنَّ لَهُ "حَرفًا واحِدًا؛ وهُو (لا) الجازمُ في قولِك: "لا تَفعلْ" [٢]،وهُو طَلَبُ المنعِ منَ الفِعْلِ على جِهَةِ الاستِعلَاءِ[٣] أي طلبَ الكفِّ عن الفعلِ، ومعَ ذلكَ؛ فقَدْ يَردُ لغَيرِ الاستِعْلاءِ؛ كما في مَجالاتِهِ الدَّلاليَّةِ في القُرآنِ الكريمِ التي زادَتْ عنْ عِشرينَ مجالًا، تَتراوَحُ بينَ القُربِ والبُعدِ، والكُفر والإيمانِ، والخَوفِ والحنُوّ، والإهلَاكِ والإفْسَاد...إلخ[٤]. وَمِن ثمَّ؛ فتتنوّعُ هذه المجالاتُ الدَّلاليَّةُ في الرّوايةِ؛ من ذلكَ ما يردُ عَلَى لِسَانِ الشَّاعرِ مَسْعُودٍ المرافقِ لهزاَّعٍ في شَقَّتِهِ، حِينما كانَ الدُّكتور علَّامٌ جالسًا مَعَهُم قبلَ المناظَرةِ: "قال مسعودٌ: وهو يلوِّحُ بورقةِ القَصيدةِ، ثمَّ يُثْنِيها ويُدخلُها في جَيبِهِ: لا تَسْتَهِنْ بهذهِ

١- فراغ مكتظ ، ٤٣.

٢- السكاكي، مفتاح العلوم،٣٢.

٣- ينظر، يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المقتطف، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م،٣/٢٨.

٤- ينظر، ياسر عوض أحمد، المجالات الدلالية في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية،القاهرة،٢٠١٨م،١٠٥-١٠٨.

المعركَةِ، فلا أحدَ يستطيعُ التَّنبؤَ بما يمكنُ أنْ يفاجئَكَ بِهِ هذا الرَّجْعيُّ"[١]؛ فقدْ خَرَجَ النَّهيُ، هُنَا، بدورِهِ إلى التَّخديرِ؛ فَـ "مَسْعُودٌ" يُحذِّرُ "علَّام" من ثقتهِ المتزايدةِ في نفسهِ، واستهانتهِ بنبهانَ؛ فَنَهْيُ مسعُودٍ حينَما بدأَ يظهرُ الخلافُ بينَ هزَّاعٍ وعلَّامٍ، يحملُ مُواجَهَةَ علَّامٍ هزَّاعًا بحقيقتِهِ أنَّه يعملُ لمصلحتهِ فَحَسْبُ، ولكنَّهُ يقتربُ أكثرَ فأكثرَ فيُقرّبُ الأصدقاءَ بأُسلُوبٍ، هو في حقيقتِهِ للاستعلاءِ؛ فيَنهي أصدقاءَهُ:"لا تقلبُوها دِرَاما يا جماعَةُ، نحنُ نمزحُ ونتَسلَّى"[٢]. فَقَدْ خرجَ نهيُهُ، هُنَا، إلى وَجْهِ النُّصْحِ والإرْشَادِ؛ فَينصحُهُم مسعُودٌ بالتركيزِ على أمرِ المناظرةِ فَحَسْبُ؛ وهو ما يَصنعهُ الخِطَابُ الرّوائيّ بالصّيغَة الوحيدَة التي اصطلحتْ عليها العربيّةُ في هذا الأُسلوبِ الطَّلبيّ.

١/٣/٣- المستوَى التَّركِيبِيّ في الرَّوَايَةِ مِنَ النَّصِّ إلَى المحِيطِ :

تَتَجَاوزُ اللُّغةُ الرّوائيَّةُ المفرَدَاتِ والأَسَاليبَ دَاخِلَ خِطابِها، إلى المحِيطِ الثَّقافيِّ والسِّياقَاتِ الحافَّةِ بِهِ، تُراثيَّةً كانَتْ أَو مُعَاصرةً، اجتماعيَّةً أو أدبيَّةً[٣]؛لا تُعبِّرُ المفردَاتُ اللُّغويَّةُ المستقلَّةُ عن إبداعيَّةِ العملِ الأدَبيّ بِشَكلٍ عامٍّ، والرِّوائِيِّ منهُ بشَكلٍ خَاصٍّ، بل يتأَتَّى ذلك من توليفِ هذه المفرَدَاتِ في تراكيبَ لُغويَّةٍ ذَاتِ دَلَالةٍ وإيحاءٍ جماليٍّ، يؤثِّرُ في المتلقِّي؛ ذلكَ أنَّ هذهِ المفْرداتِ، "ماثِلةٌ في نِظامِ التَّركيبِ اللُّغويِّ للنَّصِّ؛ أَي في بنيةِ تركيبِ الجملِ والمفرداتِ، كما في بنيةِ الزَّمانِ والمكَانِ التي تولِّدُ فَضَاءَ النَّصِّ، وتخلقُ فيه مسافةً ينمُو فيها، وأرضًا يتحقّقُ عليها، فينسجُ العلاقاتِ على أكثرَ مِن مَحاوِرَ مُتقاطعَةٍ، تَلتقِي وتَتَصَادمُ،

١- فراغ مكتظ،٤٩.

٢- السَّابق،٥٠.

٣- ينظر، عبدالرحيم الكردي، تطور التقنيات السردية في الرواية المصرية، مكتبة الآداب،القاهرة،٢٠٠٨م،٥٥.

تحلّقُ على النَّصّ، وتَتعدَّدُ إمكانَاتُ الدَّلالةِ فيهِ"[١]. ومن ثَمَّ؛ يُمكنُنا أنْ نَدرسَ هذا المحوَرَ في رِوَايةِ "فَرَاغ مُكتظّ" في ضوءِ المقابلةِ وبِنيَةِ المُفَارَقَة.

١/٣/٣/١- الطِّبَاقُ بينَ الإيقاعيَّةِ والصّنَاعَةِ السَّرديَّةِ:

الطِّبَاقُ مِنَ الظَّواهرِ التي تُشكّلُ إيقَاعًا صَوتيًّا في النَّصِّ؛ ويُعرّفُهُ البلاغيُّونَ بأنَّهُ "ذِكرُ الشَّيءِ وضدِّهِ"[٢] وَلَعَلَّ السِّرَّ فيما يُحدثهُ مِن أَثَرٍ في كونِهِ يجمعُ الشَّيءَ ونَقِيضِهِ، في جزءٍ محَدَّدٍ منَ الخِطَابِ، بل جعلوهُ كالجَمعِ بينهما في البيتِ [٣]؛ وهو قريبٌ مما يشيرُ إليه محمد عبدالمطلبِ بالتَّخريج الثَّقافيّ للمُستَوَى السَّطحِيّ للمُسْتوَى البديعيّ[٤]، ولكنَّهُ يتحوَّلُ من محسنٍ بديعيٍّ جماليٍّ إلى تِقنيةٍ من تقنياتِ الصّنعةِ السَّرديَّةِ.

وإذَا كانَ المونولوجُ المسْرُودُ هو الخطابَ الذّهنيَّ للسَّارِدِ ليَكْشِفَ الحياةَ النَّفسِيَّةَ للشَّخصيَّةِ؛ فهو صوغٌ سرديٌّ صَامِتٌ لأفكَارِ الشَّخصيَّةِ ونَوازِعِهَا الدّاخليَّةِ[٥] وفيهِ يَظهرُ دَورُ الطِّباقِ لبَيانِ التَّناقضِ؛ ومن الطباق اللَّافتِ في رِوَايَة "فراغ مكتظ" ما نجدُهُ في المونولوجِ الكاشِفِ للأَفْكَارِ التي تَدورُ في ذِهْنِ الإعَلَّاميّ "هَزَّاعٍ" عندَما أَصابهُ الضِّيقُ من استهزاءِ الدُّكْتُور عَلَّامٍ منهُ، ومِنْ

١- يمنى العيد، في القول الشعري، دار توبقال، المغرب، ط١ ، ١٩٨٧م،١٧٧.

٢- ابن الأثير(نجم الدين أحمد بن إسماعيل ت٧٣٧هـ)، جوهر الكنز(تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة) تحقيق، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م،٧٥/١.

٣- ينظر، المراغيّ، أحمد مصطفى، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، شركة القدس، القاهرة، ٢٠١٢م، ٢٥٦.

٤- ينظر، محمد عبدالمطلب، القراءة الثقافية،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة، ٢٠١٣م، ٤٧.

٥- ينظر، حسن المودن، الرواية والتحليل النصي(قراءة من منظور التحليل النفسي)، الدار العربية للعلوم–ناشرون، بيروت،٢٠٠٩م،١٧٥.

رغباتِهِ في أنْ يَظهَرَ ويلمعَ إعَلَّاميًّا؛ فقرَّرَ إرْسَالَ الصُّورِ التي أخَذَها من هاتفِ عشيقتهِ "هادية"؛ ليُرسلَها إلى زوجَةِ الدُّكْتُور عَلَّامٍ:"سبَقَ أَنْ نوَى إرسالَهَا في مرَّاتٍ سَابقَةٍ، ولَكنَّهُ تراجَعَ في اللَّحظَاتِ الأَخيرَةِ؛ أمَّا الآنَ فقَدْ بلَغَ حِنقُهُ دَرَجَةً لنْ تَسمَحَ للتَّردُّدِ بالتَّغلُّبِ عَلَيهِ"[1]؛ فَطَابَقَ بَينَ "نَوَى" و "تَرَاجَعَ"؛ لِيَكْشِفَ عن بَوَاطِنِ شَخْصِيَّةِ "هَزَّاعٍ"، وما يدُورُ في نَفْسِهِ من هَواجِسَ وتَنَاقُضٍ، يَجعلُهُ يَقبلُ على التّفكيرِ في ردِّ الأَذَى والسُّخْريَةِ وما يُصِرُّ عَلَّامٌ على إلحاقِهِ بِهِ مِن أَذًى، وما يُسَيطرُ عَلَيهِ من جُبنٍ يمنعُهُ منَ الثَّأْرِ لِنَفسهِ، والانتِقَامِ لِكَرامتهِ.

ومِنهُ قولُ الدُّكْتُور "عَلَّامٍ" للإعَلَّاميِّ "هَزَّاعٍ"، قَبلَ المُنَاظَرَةِ، مُطَابِقًا بَينَ "تَنْحَاز" و"تَتَنَكَّر": "طُول عُمرِك مُنحازٌ لمصْلَحَتِكِ، ولا أَسْتَبْعِدُ أَنْ تَنحازَ لنَبْهَانَ، وتَتَنَكَّرَ لمنْ أَخذَ بِيدِكَ، وصَنعَ منكَ إعَلَّاميًّا ناجِحًا"[2].

وَواضِحٌ أنَّ سَيطرَةَ تاءِ الافتِعَالِ في "تَتَنَكَّرُ" قَدْ أَدَّتْ دَورَها مَعَ المطَابقَةِ في النِّفَاقِ والمدَارَاةِ وعَدَمِ المصْدَاقيَّةِ في الشَّخصيَّةِ؛ كَما أنَّ وزْنَ " انفِعَالٍ" في "انْحَازَ" الدَّالِ عَلَى المطَاوعَةِ يشِي بأصَالةِ الطَّبعِ الدَّنيءِ، وسُوءِ النَّحِيزةِ لدَى " هزّاعٍ"، وَضِعَةِ الأَصْلِ؛ ممَّا يُكثّفُ دَورَ المطَابقَةِ في الكشْفِ عن دواخِلِ الشَّخْصيَّةِ، وطِباعِها الدَّفينَةِ.

ومِنَ المطَابقَةِ ما نَسْمَعُ صَدَاهُ في قَولِ الإعَلَّاميّ "هَزَّاعٍ" في نفسهِ بعدَ أن وبَّخَهُ الدُّكْتُورُ "عَلَّامٌ"، وصَدِيقُهُما "رافِعٌ" مِنْ تَخوُّفِهما منَ اِنحيازِهِ للشَّيخِ "نَبْهَانَ" في أثناءِ المنَاظَرَة المرتقبةِ مُطابقًا بينَ "نَشرتُ" و "اجتزَأْتُ": "لقد كتبتُ نِصفَ مقالاتِكَ الصَّحَفِيَّةِ، ونشرْتُ الكتاباتِ الرَّكيكَةَ التي يبعثُها تلاميذُك وصَدِيقاتُك مَشْفُوعَةً بتَزكِيتِكَ. وكَمِ اجْتَزأْتُ مِنْ مقَالاتِ غُرَمائِكَ الأكاديميّينَ؛ لِتبدُو أنتَ

١- فراغ مكتظ ،٥١.

٢- السَّابق نفسهُ، الصّفحة نفسُها.

الأفضلَ دَائمًا"[١]؛ فقدْ كَشفَ مِن خِلَالِ هذا المونولُوجِ عمَّا يُضمرُهُ هَزّاعٌ منْ إحْسَاسٍ بالعَطَاءِ المتنوّعِ لعلَّامٍ، وإن كانَ في صُورةٍ تجمعُ بين السَّلْبِ والمنْحِ؛ كما أفادَتِ المطابقةُ؛ فالسَّلبُ لمنافِسِي عَلَّامٍ لِتَقليلِ شأنِهِم إلى شَأْنِهِ، والعطاءُ لعلَّامٍ لرفعِ شأنِهِ؛ فَجعلتِ المطَابقَةُ شُعُورَ هَزَّاعٍ مُضاعفًا بالثَّورةِ عَلَى عَلَّامٍ الذي يعيّرهُ بالقليلِ، في حِينِ أنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ جُهْدًا في مُسَاعدتِهِ، والسَّعْيِ في خدمتِهِ، وإعلاءِ مكانتِهِ، دُونَ عِرفانٍ، أَوِ امتنانٍ.

ومِنْ هَذِهِ المُطابَقَةِ ما نَجِدُهُ من مُحاوَلَةِ إقْنَاعِ الإعَلَّاميِّ "هزَّاعٍ" مُديرَهُ بِشَتَّى الطُّرُقِ؛ لتَدعيمِ المُنَاظَرَةِ بينَ الدُّكْتُور "عَلَّام) والشَّيخ (نَبْهَانَ) بطَرَائِقَ مُختَلِفَةٍ، مُطابقًا بينَ "تُقَدِّم" و "تُؤخِّر" في ديالوج بينهما"ولَكِنْ لابُدَّ أنْ يكُونَ للبرنامِجِ، ومُقَدِّمِهِ وضَيفيهِ نِسْبَةٌ مِنْ كُلِّ إعلَانٍ جَدِيدٍ، لِكَيلَا يَتَلَقَيا عَرْضًا مُغْرِيًا مِن إحْدَى القَنَوَاتِ المنافِسَةِ، آهٍ كمْ أخشَى أن تخطفَ الضَّيفينِ وأنتَ تقدِّمُ رجلًا وتؤخِّر أُخرى!" [٢]، وقدْ أدَّتْ هذهِ المطَابَقَةُ دَورها في إقنَاعِ مُديرِ القناةِ؛ إذْ صَوَّرَتْهُ في صُورةِ المتردّدِ المرتَبِكِ غَيرِ القَادرِ عَلَى اتِّخَاذِ قَرارٍ، بما لايَلِيقُ بمدير مَحطّةٍ فَضَائِيَّةٍ؛ فرفضَ هذه الصّورة المنفّرة التي وضعها هزّاع أَمامهُ بالمطابقَةِ، وَقَبلَ عَرْضَهُ.

١/٣/٣/٢- المقابلةُ وبِنيَةُ المُفَارَقَة:

يُلخِّصُ البَلَاغيُّونَ تَعْرِيفَ المقَابَلَةِ بأَنَّها " أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما"[٣] ، وأنها ما جَاوَزَ الطِّبَاقَ بَينَ ضِدَّينِ، وجَعَلُوها مُواجَهةً

١- فراغ مكتظ ،٥٢.

٢- السَّابق،٢٢.

٣- أبو يعقوب السكاكي(ت ٦٢٦هـ) ، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م،٢٢٤.

بينَ حُكْمٍ ونَقيضِهِ، ومَوقِفٍ وما يُخالفهُ [١]؛ فَكُلُّ نَقيضٍ يَنتَظرُ نَقِيضَهُ وَردَّ فِعلَهِ؛ ممَّا يُؤجِّجُ الصِّراعَ في الخِطَابِ الرّوائيِّ، وبينَ الضِّدِّ ونَقيضِهِ تقعُ الحقيقةُ، ويَختارُ المتَلَقِّي بَينَ اِختِيَارينِ؛" فاللُّغَةُ مَنظُومةٌ تُمنهجُ الفِكرَ وتنظِّمهُ؛ إنَها شَكلٌ، وقيدٌ، ونَسقٌ، يُخرجُ الموجوداتِ منَ التَّسيُّبِ والانتِشَارِ والانْطِلَاقِ والغَفلةِ"[٢].

ومِن ثَمَّ؛ نَلْحَظُ أنَّ بنيةَ المقابلةِ قَدْ شكَّلتْ دَلالاتٍ فاعلَةً في السَّردِ الرِّوَائيّ عِندَ الكاتبِ إبراهيم الألمعيّ من خلالِ طَريقَةِ السَّارِدِ في المقابلةِ؛ إذْ "يُؤتَى بمعنيينِ متوافقينِ أكثرَ، ثمَّ يؤْتي بما يُقابلُ ذلك على التَّرتيبِ"[٣]؛ فَقَدْ حاوَلَ هزَّاعٌ إقناعَ مُديرهِ بِشَتَّى الطُّرقِ؛ لتَقديمِ المناظَرةِ بينَ عَلَّامٍ ونبهانَ؛ فاستَعَانَ بالمقَابلَةِ ليُوَازنَ بينَ أمرينِ للتَّحضيضِ "ولَكِنْ لا بُدَّ أنْ يكُونَ للبرنامجِ ومقدِّمِهِ وضَيفيهِ نسبةٌ من كلِّ إعلانٍ جَديدٍ؛ لكيلَا يتَلَقَّيَا عَرَضًا مُغْرِيًا مِن إحدَى القَنواتِ المنَافِسَةَ: آهٍ، كمْ أخشَى أنْ تخطفَ الضَّيفينِ وأنْتَ تُقَدِّم رِجْلًا، وتُؤَخِّرُ أُخرَى" [٤]؛ فالمقابلَةُ بينَ" تُقَدِّم رِجْلًا "، و"تُؤَخِّرُ أُخرَى" لَيسَ مُجرَّدَ تَزيينٍ بدِيعيٍّ للنَّصِّ الرِّوائيِّ، بَلْ حَملَتْ دَلَالاتٍ سياقيَّةً، مفادُها أنْ يتنبَّهَ هزَّاعٌ إلى أنَّ ما يَطْمعُ فيه ، وَيَسعَى إليه قد تتلقَّفُهُ القنواتُ المنافِسَةُ.

وَمنهُ، أيضًا، عندما كَظمَتْ زوجةُ الشَّيخِ "نَبْهَانَ" غيظَها في نَفْسِها؛ بسَببِ زَوْجَتِهِ الثَّانيةِ/الدَّاعيَةِ؛ فقالتْ لهُ مُعَاتِبَةً حِينَما جاءَ يُحدِّثُها عن المناظَرةِ: "تَستأنِسُ عندَ الدَّاعيةِ، وتأتي للتَّفكيرِ عندي؟!" [٥]؛فالمقابلةُ تأتي هُنا؛ لتبيّنَ تَناقُضَ

١- ينظر، أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م،١٩١.

٢- حمادي صمود، في نظرية الأدب عند العرب، مكتبة المتنبي، الدمام،٢٠١٢م،٣٤.

٣- المراغِيّ، علوم البلاغة، ٢٥٧.

٤- فراغ مكتظ،٢٢.

٥- نفسه،٣٥.

شَخْصيَّةِ الشَّيخِ "نَبْهَانَ" في مَكانينِ مُختلفينِ في المسَارِ السَّرديِّ للرِّوايَةِ؛ فهُو عندِ زَوْجَتِهِ الأُولى يَشْغلُها بأَفكارِهِ ومُناظراتِهِ، ومعَ الثَّانيةِ لا يَتَحدَّثُ في مثْلِ هذِهِ الأُمُورِ.

فَبِنيةُ التَّقابلُ؛ كما يَرَى النَّقدُ البلَاغِيُّ هو تعارضٌ بينَ وحداتٍ مُتكافئةٍ مُتناسبةٍ، يجعلُ المقارنَةَ في ذروة تَنَاقضِها[١]؛ وهُو ما لَاحَظناهُ من موقفِ الشَّيخِ "نَبْهَانَ" من زَوْجَتَيهِ، والمقارنةِ الواضحةِ في تمييزِهِ بينهما.

ومِنْ ذَلِكَ، أَيضًا، ما يأتي عَلَى لِسَانِ هزَّاعٍ في أَثْناءِ استِعدَادِهِ للْمُناظَرةِ وجَلْبِ الإعلَانَاتِ، بعدَ قَضاءِ يومٍ مُتعبٍ في ذلك، فَإذَا بِهِ عِندَ وُصُولِهِ إلى شَقتِهِ، يجدُ سيَّارةَ علَّامٍ أَمَامَ شَقَّةِ "هَادِيَةَ" فتذكَّرَ رسالتَهُ التي أَرْسَلَها في أَثناءِ هذَا اليومِ المتعِبِ يأتِي فيهَا:"لَدَيّ ضُيُوفٌ يحبُّهم قَلبُكَ...سَأَنْتظركَ هذا المسَاءَ.

عَلَّقَ بصوتٍ متعبٍ؛ قلبي الآن لا يحبُّ سِوَى الفِراشِ، وَويلٌ لي مِنَ العِتَابِ. ولكِنْ اليومَ خَمْرٌ، وغَدًا أَمْرٌ. ثمَّ عَدَّلَ العِبَارةَ لتوائمَ حالَهُ اللَّيلةَ نوْمٌ، وغدًا لومٌ"[٢].

وتأتي المقابلةُ؛ لتبينَ أنّ "هزَّاع" سيكونُ بين حالينِ مُختلفينِ تمامًا؛ فهُو معَ علَّامٍ، وأصدقائِهِ اليومَ، وغدًا أَمرٌ جلَلٌ سَيُغَيِّرُ حَياتَهُ إِلَى الأَبدِ معَ علَّامٍ أيضًا.

١/٣/٣/٣- المُفَارَقَةُ:

المفَارَقةُ Irony صِيغَةٌ تَعْبيريَّةٌ تَضَعُ المتلقِّي أمامَ ازدِواجيَّةٍaudience Double ؛ فيُدْرِكُ في الخِطَابِ مَعنيينِ؛ أَحدُهما عُرفيٌّ يُؤخذُ منَ البنْيةِ السَّطحيَّةِ، والثَّاني يُدركُ منَ السِّياقِ؛ مما يجعله أمامَ معنًى مباشرٍ، وآخرَ غير

١- ينظر، شكري الطوانسي، البديع وفنونه: مقاربة نسقية بنيوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ٢٠٠-٢٠١.

٢- فراغ مكتظ،٣٨.

مُباشِرٍ على وجهِ التَّضادِّ[١] ، وكُلّ مَعْنًى يُمثِّلُ حَدَثًا وتَفَاعُلًا اجتِماعيًّا مُضَادًّا ممَّا يُولِّدُ صِراعًا مُتلازِمًا ومُلَازِمًا[٢]؛ فهِيَ تَكشِفُ ما في النَّفْسِ منْ تناقُضَاتٍ، كما يَكْشِفُ عمَّا بينَها وبينَ ما حولَها من عَلَاقاتٍ تَجمعُ بين الحُضُورِ والغِيَابِ[٣]، ومَعَ ما تَحمِلُهُ مِن مَعنَى الادِّعَاءِ، والتَّهَكُّم والسُّخْريةِ بأَصْلِ وضْعِها في النَّقْدِ المسْرَحِيّ الغَربيّ؛ فإنَّها قَدْ تَحمِلُ، أَيضًا، عَلَامَاتِ الخُبثِ والمكْرِ والدَّهاءِ وتعقّدِ بنيَةِ الشَّخْصِيَّةِ أوِ الحَدثِ السَّردِيّ؛ لما تَحملُهُ مِن دَلَالةٍ أَقربَ إلى التَّورِيةِ بمَعْنَيَيها البلَاغِيّ والثَّقافيّ[٤].

ومِنَ المُفَارَقَاتِ التي يمكنُنَا أَنْ نَقِفَ عَليها في الرّوايةِ المفَارَقَةُ السِّياقيَّةُ التي فَاجَأَنَا بها الرَّاوي عَلَى لِسَانِ علَّامٍ، فَكَانَ في بادِئِ الأَمرِ قَدِ اِستَجَابَ لِعَرْضِ المناظرَةِ مِنْ هَزَّاعٍ مُباشرةً مُسْتَهْزِئًا؛ فَيقُولُ عنْ تَغْييرِ رأْيِ "علَّامٍ" في سِيَاقِ الحرَكَةِ السَّرْدِيَّةِ فَجْأَةً: "بَعْدَ عَناءِ يَومِ شاقٍّ قضاهُ هَزَّاعٌ في مُحاورةِ المدِيرِ، ومُناورةِ نبهانَ، وتَقديمِ حَلَقَةِ اليَومِ على الهَوَاءِ، كانَ مُنهَكًا جِدًّا، ولَكِنْ لا بُدَّ أنْ يعرِّجَ على شقَّةِ البَلَدِ؛ ليتأكَّدَ من موقفِ علَّامٍ، مِنَ المنَاظَرةِ.

صُدِمَ للإنكَارِ والرَّفضِ القَاطِعِ مِن عَلَّامٍ، اِستعَانَ بالأصدِقَاءِ، فَشَهِدُوا عَلَى مُوافقتهِ، فَصَدَّقَهم، ولكِنْ عقَّبَ: – هَبْني وافقتُ البارحَةَ؛ فَهَا أَنَا أَتَراجَعُ الآنَ، وما

١– ينظر، محمد العبد، المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠٠٥م، ١٥.

٢– ينظر، السَّابق، ٣٣.

٣– ينظر، رضا كامل، بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠١٠م، ٦.

٤– ينظر، أحمد عادل جاد المولى، بناء المفارقة دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠٠٩م، ٣٦ .

أَسْهَلَ أنْ أَتراجَعَ فَلطَالما خَذَلتَنِي في موَاقفَ أهمَّ مِنْ لِقَاءٍ تلفزيونيٍّ؛ وإنْ كنتَ ناسِي أَفكّرك" غنَّى هذهِ الجُملَةَ وكرَّرَها؛ ليؤكِّدَ عدمَ اكْتِرَاثِهِ"[١].

ومِنَ المُفَارَقَاتِ السِّياقيَّةِ، أَيْضًا، ما يُدْهشنَا بهِ الرَّاوي مِنْ تحوُّلِ موقفِ هزَّاعٍ معَ عَلَّامٍ رفيقِهِ ونديمِهِ في اللَّهْوِ والسَّهَرِ عِندَ "هَادِيةَ" حِينَما حَاوَلَ عَلَّامٌ الضَّحكَ معهُ كعَادتِهِ؛ إلَّا أنَّه وقبلَ المناظرةِ نوَى فِعلًا أنْ سيُطِيحُ بعَلَّامٍ قَبلَ المنَاظَرةِ تَمامًا، ويُقوِّي مِنْ مَوقِفِ الشَّيخِ نَبْهَانَ؛ إذْ قالَ: "قَفزَتْ إلى ذاكِرَةِ هَزَّاعٍ الصُّورُ التي اِختلَسَهَا مِنْ ألْبومِ هَادِيةَ، تَحسُّبًا لاحتياجِها في وقتٍ كَهَذَا، ها هُو الوقتُ قد حانَ أَن تصِلَ الصُّورُ إلى زوجَةِ علَّامٍ، جزاءً وفاقًا لهذه السُّخريَةِ والجُحُودِ"[٢]. ومِنْ ثمَّ؛ يُمكنُنا فَهمُ بِنْيةِ المفَارَقَةِ؛ بوَصفِها بِنيةً أساسيَّةً في روايَةِ "فَراغ مُكتَظّ"؛ حَيثُ سَاعدَتْ على تَرابُطِهَا النَّصِّيِّ، وتحقيقِ تفاعلِ القارئِ معَ النصِّ ودهشتِهِ؛ لكَونِها تَعْتمدُ على "إثباتِ القولِ بتناقُضٍ مع الرأيِ الشَّائع في موضوعٍ ما بالاستنادِ إلى اِعْتبارٍ خفيٍ"[٣]؛ لذا تكتسبُ في السَّردِ غرابةً مدهشَةً، وبيانَ أزمةِ الشَّخصيَّةِ، وتفسير الخفي من دوافع الأَحداثِ المبهمةِ والمعقَّدةِ.

١/٤- المسْتَوَى التَّصْوِيرِيُّ مِنَ البَيَانيِّ إلى السَّرْدِيِّ:

يَكْتَسِبُ انتِشَارُ الصُّورِ البَيَانيَّةِ، والفنيَّةِ عامةً وَضْعيَّتَهُ المعقَّدةَ في الخِطَابِ السَّردِيّ، وديناميَّتهُ التي تَشكّلُ فَضَاءَ السَّردِ، وتركيبَ الأحداثِ والشَّخصيَّاتِ، وتَشابُكاتِها المسْتَمِرَّةَ، وَهَيْمنةَ بَعْضِها، وخُفُوتِ بعضِها الآخَر؛ بحسَبِ أدَواتِ الصُّورِ الجَماليَّةِ التي يختارُها السَّاردَ لِيصْنعَ حالةً تخييليَّةً مُوهمةً

١- فراغ مكتظ، ٢٦.

٢- السّابقُ،٥١.

٣- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م، ١٦٢.

بواقعيَّتها" إنَّ بنيَةَ النَّصِّ السَّردِيِّ، إذًا، تَتَشَكَّلُ وَفقَ مَجامِيعِ الصُّورِ: بِنيَاتِها، وعَلَاقاتِها، ودَلَالَاتِها"[١].

ويُمكنُنَا أَنْ نَتَوقَّفَ عِندَ بعدَ الصُّوَرِ البيَانِيَّةِ التي تَتَشَابَكُ لتكوِّنَ الخِطَابَ السَّردِيَّ في رِوَايَةِ "فَرَاغ مُكْتَظّ"؛ فالبَيانُ، كَمَا يَرَاهُ البلَاغيُّونَ القُدامى هُوَ " إيرَادُ المعنَى الوَاحِدِ بطُرُقٍ مُختلفةٍ في وُضُوحِ الدَّلالةِ واختِلَافِ الطُّرقِ يكونُ بالحقيقَةِ والمجازيَّةِ في الجُملَةِ"[٢]، وممَّا نَجِدُهُ في رِوَايَةِ "فَرَاغ مُكْتَظّ"؛ منَ الصُّورِ البَلَاغِيَّةِ التي أَسْهَمَتْ في تجليةِ المعانِي ما وردَ في وَصْفِ الرَّاوِي لِشَقَّةِ الدّكتور عَلَّام التي يتَّخِذُ منها مَكَانًا لِلكِتَابَةِ، التي" فإذا دخل الصَّالَةَ فَعليهِ أَنْ يَتَحَسَّسَ مَواضِعَ قَدَمَيهِ... وحين يأْخُذُ مجلِسَهُ يُصبحُ جُزْءًا من الفَوضَى الخلَّاقةِ، التي طَالمَا بَرقَ الإلهامُ مِنْ بينِ دُخَّانِها؛ فَوُلِدَ مَوضُوعُ المقالَةِ، أو مَطلَعُ قصيدَةٍ، أو فِكرَةُ قِصَّةٍ"[٣]؛ فهَذِهِ التَّمْثِيلَاتُ البَيَانِيَّةُ الاستِعَارِيَّةُ المتَدَاخِلةُ؛ كَبرقِ الإلهامِ، والفَوضَى الخلَّاقةِ، و"من بيْنِ دُخَّانِها" استِعَارات، والتَّركيبُ" يَتَحَسَّسَ مَواضِعَ قَدَمَيهِ" كِنَايةٌ عَنْ صِفةِ عدمِ الانتظامِ التي تَفرضُها فَوضَى المكانِ؛ ممَّا يشي بالفوضَى العامَّة التي تُسَيطِرُ عَلَى عَلَّامٍ، وتَنَاقُضِهِ النَّفْسِيّ والعَقلِيّ، والعشوائيَّة النّاجمَةِ عن لِيبراليتهِ.

وفي وَصْفِهِ لروّادِ الشّقَّةِ منَ الأَصدقاءِ نَجِدُ هذَا التَّمْثِيلَ: "تَغِيبُ وُجُوهٌ، وتَحضرُ وُجُوهٌ، كَثيرًا ما تَقْتربُ فيها سَماواتُ الأُنْسِ"[٤]؛ وهُوَ تَمثيلٌ بيانيٌّ

١- شكري الطوانسي، شعرية الاختلاف: بلاغة السَّردِ عند إدوارد الخرَّاط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م،١٤٣/٢.

٢- القزوينيّ (محمد بن عبد الرحمن ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي،ط٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م،١٢٣/١.

٣- فراغ مكتظ،١١.

٤- السَّابق نفسه، الصفحة نفسها.

بالاستعارةِ؛ إذْ أَسندَ ثُنَائيَّةَ الغِيابِ والحُضُورِ إلى الوجوهِ، وهيَ في أَصْلِ إسنَادِها الوضعِيِّ للإنسَانِ استِعَارةٌ مَكْنِيَّة، تكشفُ عن ليبراليةِ علَّامٍ وقبُولِهِ لأَصدقاءَ من كلِّ الاتّجاهاتِ.وثمَّة تَمثيلٌ بَيانيٌّ بالمجَازِ المرسَلِ بعَلاقتِهِ الجُزئيَّةِ؛ إذْ أطلقَ "الوُجُوهَ" الجُزءَ وأَرادَ الكلَّ "الإنسَانَ".

وفي حِوارِ "هزَّاعٍ" و"عَلَّامٍ" بشَأْنِ المشَاركةِ في الحلقةِ التِّلفزيونيَّةِ قالَ هَزَّاعٌ "والدُّخَانُ يَتَخَلَّلُ كَلِماتِهِ"[١] وهو تمثيلٌ بيانيٌّ بالاستِعارَةِ، فالمستَعَارُ لهُ " كَلِماتِهِ" والمستعَارُ منهُ مَحذوفٌ تقديرُهُ "المكَانُ"، والقَرينَةُ " يَتَخَلَّلُ" استعارَةٌ مَكْنِيَّة، ولكِنَّ الاستِعَارَةَ تَخرجُ مِنَ التَّصْوير الجزئيّ المشهديّ في السَّرْدِ إلى الصُّورة السَّرديّةِ الكُليَّةِ التي تُصَوِّرُ حَالَةِ الشَّخْصِيَّةِ من اِضْطرَابٍ وإِحْسَاسٍ بالأَزمَةِ.

ونَجِدُ تَمثيلَاتٍ أُخرى؛ منها تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ في وَصْفِ الرّاوي لِاضطِرابِ رَافِعٍ وخوفِهِ وتردُّدِهِ: "إخمَادُ مَخاوفِ رَافِعٍ في مَهْدِهَا" [٢] فالمستَعَارُ لهُ "مخاوِفُ"، والمسْتَعَارُ منهُ مَحذُوفٌ "النَّارُ" والقَرينةُ "إخمادُ" استعارةٌ مَكْنِيَّة، وفي قولِهِ: " في مَهْدِهَا" أَيْضًا استِعَارَةٌ، وفي قولِهِ "الحَذَرُ من كلِّ ما قدْ يُزحزحُهُ عَن كُرسيِه" [٣] كنايةٌ عن صفةِ المنصبِ مِن خلَالِ إطلاقِ مُفردةِ "كُرسيّ"، ومعَ أنَّها تصويرٌ جُزئيٌّ بيانيٌّ فإنَّها كنايةٌ ثقافيَّةٌ تكشفُ حالَ الشّخصيَّةِ من انتهازيَّةٍ ووصوليَّةٍ.

ويُمكنُنا الآنَ أن نسُوقَ جملَةً كثيرة مِن هَذِه التَّمثيلاتِ؛ منها قَولُهُ: "قَلْبُ الصِّراعِ" [٤]فَهُوَ تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ، والمسْتعَارُ لَهُ "الصِّراعُ"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ

١- فراغ مكتظ،١٢.

٢- السابق نفسه، الصفحة نفسها.

٣- السابق ،١٣.

٤- السابق نفسه، الصفحة نفسها.

محـذوفٌ "الإنسَـانُ" والقَرِينَـة "قَلْـبُ"، وقَولـهُ: "حِيلـةٌ مَـاكِرةٌ" [١] تَمثيـلٌ بَيَـانيٌّ بالاسـتِعَارَةِ، والمسْتَعَارُ لـهُ "حيلَـةٌ" والمسْتَعَارُ مِنْـهُ "الإنْسَـانُ" مَحْذُوفٌ، والقَرِينَـةُ " مَاكِرةٌ" مَكْنِيَّـةٌ، وَقَولُـهُ: "المخَصَّص لِتلْمِيعِكَ" [٢] تَمثيلٌ بَيَـانيٌّ بالكنايَـةِ عن صِفَةِ الشُّهرةِ والإظْهارِ، وَقَولُهُ: "القَنَاة سَخيَّة" [٣] تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ والمُسْتَعَارُ لَهُ "القَنَاة" والمسْتَعَارُ مِنْهُ مَحْذُوفٌ "الإنْسَانُ" والقَرِينَةُ "سَخيَّة" مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ :"ستُسَاهِمُ القَناةُ"[٤] تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالمجازِ المرسَلِ أطلقَ "القَناةَ" المحلَّ، وأرادَ الحالَّ "أُسرتَها"؛ علاقةٌ محليَّةٌ. ويُمكِنُ أَنْ تكونَ استعارةً، والمُسْتَعَارُ لَهُ "القناةُ"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ مَحْذُوفٌ: " أُسرةُ القَناةِ" مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ: "يقطَعُ أمرًا" [٥] تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ، والمُسْتَعَارُ لَهُ "الأَمرُ"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ مَحْذُوفٌ؛ وهو الشَّيءُ الماديُّ كـ "الجبلِ" أو غيرِ ذلكَ "، والقَرِينَةُ "يَقْطَعُ" مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ: "تُوشِكُ الكَآبةُ أنْ تُغَرزَ مَخالبَهَا في رُوحِي" [٦] تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ "الكَآبَة"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ محذوفٌ "السِّباعُ" "،والقَرِينَةُ " تُغَرزَ – مَخالبَهَا " مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ: "لحْظَةُ لمقاومَةِ الظَّلامِ الذي يتَسلَّلُ إلى داخِلهِ" [٧] تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ، والمُسْتَعَارُ لَهُ "الظَّلامُ"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ مَحْذُوفٌ "الإنسَانُ اللِّصُّ أو العَدُوّ" والقَرِينَةُ "يتَسلَّلُ" مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ: "يملأُ ضوءُ الشَّمسِ الغُرفةَ" [٨] تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ، والمُسْتَعَارُ لَهُ "ضَوء الشَّمسِ"،

١- فراغ مكتظ ،١٥.
٢- السابق ،٢٨.
٣- السابق ،٣٣.
٤- السابق نفسه، الصفحة نفسها.
٥- نفسه،٤٤.
٦- السابق،٥٤.
٧- السابق نفسه، الصفحة نفسها.
٨- السابق،٦١.

والمسْتَعَارُ مِنْهُ مَحذوفٌ: "الماءَ"، والقَرِينَةُ "يملأُ" مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ: "قطَعمُ الانتِصَارِ سُرْعانَ ما يتَلَاشَى" [١]تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ، والمُسْتَعَارُ لَهُ "الانتِصَار"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ مَحْذُوفٌ "الطَّعَام" "، والقَرِينَةُ "طَعْم" مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ: "أمَّا مرارَةُ الهزيمةِ فتَدُومُ وَتتَجَدَّدُ" [٢]تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ، والمُسْتَعَارُ لَهُ "الهزيمة"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ محذوفٌ "الطَّعَام" "، والقَرِينَةُ "مَرارَةٌ" مَكْنِيَّةٌ، وَقَولُهُ: "ويَكسرُ طَوقَ الوحْدَةِ الذي يُحاصِرهُ مُنذُ غَادَرَ مَكتَبَ نَبهَانَ" [٣] تَمثيلٌ بَيَانيٌّ بالاستِعَارَةِ، والمُسْتَعَارُ لَهُ "الوحدَةُ"، والمسْتَعَارُ مِنْهُ مَحْذُوفٌ "الشَّيءُ المادّيّ" "، والقَرِينَةُ "يَكْسرُ" مَكْنِيَّةٌ.

وهَكَذا تَتفَاعَلُ كُلُّ هَذِه التَّمثِيلَاتِ البَيَانيَّةَ الكاشِفةَ، التي تَكشِفُ أَبعادَ الشَّخصيَّاتِ، والأَحدَاثِ، وطَبيعَةِ الصِّراعِ في الرِّوايةِ، وهُو المقصُودُ ممَّا سلَفَتِ الإشارةُ إليهِ في مَدخَلِ هذَا المحورِ مِن قَولِ البَلَاغِيّينَ بأَنَّ بنيَةَ الخِطَابِ السَّردِيِّ تَتَشَكَّلُ من مَجمُوعِ هَذهِ الصُّورِ والتَّمثيلَاتِ ببِنيَاتِها، وعَلَاقاتِها المتَشَابِكَةِ، ودَلَالَاتِها المتكاملَةِ.

١- فراغ مكتظ ،٧٤.

٢- السابق نفسه، الصفحة نفسها.

٣- السابق،٧٧.

المبحث الثَّاني:

٢- بلَاغَةُ التَّشْكِيلِ السَّرْدِيِّ:

٢/١- بِنْيَةُ الشَّخْصِيَّاتِ في رِوَايَةِ "فَرَاغٍ مُكْتَظّ":

الشَّخصيَّةُ هيَ أَهمُّ عناصرِ البنيَةِ السَّرديَّةِ؛ لِذَا لا يَألُو السَّرِدُ جُهدًا في رسْمِ ملامِحِها، والرّوائيّ الجيّدُ هو الذي يملكُ بلاغةَ خَلْقِ شَخصيَّاتِهِ[١]؛ فالأفكارُ تحيا عَبرَها، ومن خلَالِ أفعالها نعرفُ الأحداثَ وبنيةَ الزَّمنِ، ولها ترتسمُ ملامحُ المكانِ[٢]، وَإِذَا كانَ الحدثُ هو أساسَ أيِّ عملٍ سَردِيٍّ فَإِنَّهُ لا يتمُّ من تلقاءِ نفسهِ، بل تقومُ بهِ شَخصيَّةٌ، تنجزهُ، وتطوَرُهُ، وتعرفُ الشَّخصِيَّةُ بأنَّهَا: "الشَّخصِيَّةُ هيَ أحدُ الأَفرادِ الخيَاليّين، أَوِ الواقِعِيَّينَ الذينَ تَدورُ حَولَهم أحداثُ السَّرد"[٣] والشَّخصيَّةُ كائنٌ يخلقهُ الكاتبُ على الوَرقِ عن طَريقِ الكِتابةِ، يقولُ چان چاك رُوسو:" الشَّخصيَّةُ الرّوائيَّةُ ليسَتْ سِوَى مَجمُوعةٍ منَ الكَلِماتِ، لا أقلَّ ولا أَكثَرَ"[٤]؛ لِذَا يَلزَمُنا هنا أَنْ نَدرِسَ بِنْيةَ الشَّخْصِيَّاتِ في روايةِ "فَرَاغ مُكتَظّ" في ضَوءِ ما يَأْتي:

١- ينظر، جوزيف كونراد، فرجينيا وولف، هنري جيمس، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة: إنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة، ١٩٧١م، ١٠٧.

٢- ينظر، عبدالفتاح عثمان، بناء الرواية: دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢م، ١٠٧.

٣- مجدي وهبة، كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان،بيروت،ط٢، ١٩٨٤م، ٢٠٨.

٤- حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ٢١٣.

٢/١/١- بِنْيَةُ الشَّخْصِيَّاتِ في رِوَايَةِ "فَراغٍ مُكْتَظّ":

سِيمْيَاءُ الشَّخصيَّاتِ في الرِّوايةِ:

- **سِيمْيَاءُ الشَّخصِيَّاتِ الرِّوائيَّةِ الرَّئيسَةِ:** لَعَلَّ أَهَمَّ ما يَسِمُ شَخصيَّةَ الإعلَامِيّ والمحاورِ التِّليفزيونيّ "هَزَّاع"؛ كما اتَّضَحَ لَنَا مِن خِلَال التَّمثيلَاتِ البلَاغيَّةِ التي تقدّمتْ، أنَّه عَلَامةٌ للشَّخصِ الانتهَازيِّ، الذي لايُبالي إلَّا بمصلَحتِهِ الشَّخصيَّةِ؛ فلا يَهمُّهُ مُستقبلُ المحطَّةِ الإعلَاميَّةِ التي يعملُ فِيها؛ ويرجو أن يُحْدِثَ بمناظرتهِ بينَ القطبينِ المتضَادَّينِ ضَجَّةً تُودِي بمدِيرِ المحطَّةِ، وتَجعلهُ هُوَ موضِعَ الأنظَارِ والاهتِمَامِ؛ لِذا يحتالُ عليهِ راجياً إيَّاه بما سَتجلِبُهُ هَذِهِ المنَاظرَةُ مِنَ المعلنينَ، فَيزيدُ الدَّخلُ، ويُغري كلًّا منْ صَدِيقَيهِ: نَبهَانَ، وعَلَّامٍ بالمالِ، ويعلِّلُ لِذلكَ كلِّهِ بما قاساهُ وأشقَاهُ في ماضِي حياتِهِ، وَرَاكمَ لَديهِ كُلَّ هذِهِ العُقَدِ النَّفسيَّةِ التي دفعتهُ لهذا السُّلُوكِ، الأَمرُ الذي استَدعَى أنْ يُراجعَ طبِيبًا نَفْسِيًّا وَصَفهُ لهُ علَّامٌ، وكانَ يلجأُ إلى المذكِّرَاتِ؛ ليفرِغَ فيها ما احتَشدَ من ذكرياتٍ ماضيةٍ، دفعَتْهُ إلى هذا السُّلوكِ، وقَدْ لجَأَ الكاتِبُ إلى تَمييزِ هذه المذكّراتِ بالخَطِّ الغامِقِ، وعَملَ عَلَى النَّبشِ في تاريخِهِ متلَمِّسًا النَّضاريسَ النَّفسِيَّةَ التي تكَوَّنتْ بِفعْلِ عواملَ تربويَّةٍ وبيئيَّةٍ واجتماعِيَّةٍ وعاطفيَّةٍ.

ولَعَلَّ أَهمَّ ما يُميّزُ سِيمياءَ الشَّيخِ (نَبهانَ): أنَّهُ عَلَامةٌ للتيَّارِ الإسلَامِيّ المتَشَدِّدِ، الذي قوامُهُ استثمارُ الدِّينِ في الكَسْبِ المادِّيّ ممثلًا في القِيَامِ بالرُّقَى الشَّرعيَّةِ للمرضَى، والاستمتاعِ بالزَّواجِ من أكثرَ من امرأةٍ بَحثًا عنِ المتعَةِ، واستِقطَابِ الأتباعِ للترويجِ لنفسهِ، ولمصَالحهِ واطمَاعِهِ الشَّخْصيَّةِ.

ويَتشكَّلُ سيمياءُ شَخْصيَّةِ الدُّكتور "علَّام في كَونهِ عَلَامةً للتَّيَّارِ اللِّيبراليِّ المتَحرّرِ، لا يَقِلُّ انحِرَافًا عنْ نَظِيرِهِ الآخَرِ الإسلاميِّ في طَلَبِ المتعَةِ عَبرَ عَشِيقةٍ من وَراءِ ظَهْرِ زَوجتهِ التي اقترنَ بها؛ لأنَّها كانتْ ابنَةَ أُستاذِهِ المشْرِفِ، وكانَ يَنوِي الاستِمتاعَ بها في غُرْبتهِ؛ ولَكِنَّها أَرغمتْهُ على الزَّواجِ ففعلِ كارهًا.

- **سِـيمِيَاءُ الشَّخصِـيَّاتِ الثَّانويَّـةِ:** لَعَلَّ أهـمَّ مـا يميّزُ الشَّخْصِـيَّاتِ الثَّانويَّـةَ المحيطّة بكلٍّ منْ هَزَّاعٍ"، و"عَلَّامٍ"، و"نبهانَ" مِن خِلَالِ التّمثيلاتِ البلاغيَّةِ التي قدمتُها في المحورِ السَّابقِ ما يأتي:

تُمَثِّلُ شَخْصيَّةِ "رافـعٍ" صـديقِ الإعلامـيِّ "هَزَّاعٍ" الـذي يشـاركُهُ فـي سـكنِ الغُرفةِ، علامةً للصّديقِ النّفعيّ البراجماتيّ الباحِثِ عَن فُرْصَةٍ من خِلَالِ اتِّصَالِهِ بإعلاميّينَ، ومَشَاهيرَ؛ لِذا يتَدخَّلُ في الحِواراتِ بينَهُم دائمًا، مُبديًا رَأيهُ.

ولا تَبعدُ سِيمياءُ شَخْصيَّةِ "مسعُودٍ" الشَّاعرِ الذي يُرافقُ الإعلامـيَّ "هَزَّاع" في شقَّتِهِ عن سيمياء "رافـعٍ"؛ لِذا نراهُ ما ينتهزُ كلَّ فُرصَـةٍ مُواتيَـةٍ ليلقي عليهم القصائدَ.

- **سِـيمِيَاءُ الشَّخصِـيَّاتِ الهامشـيَّةِ:** يمكِنُنَا انْ نُحدِّدَ أهمَّ مـا يميّزُ **سِـيمِيَاءَ** الشَّخْصِيَّاتِ **الهامشيَّةِ** كالآتي:

ما يسِمُ شَخصيَّةَ زوجةِ الدّكتور علَّامٍ "مَرْيم" أَنَّها علَامةٌ للزَّوجةِ التي خَانَها زوجُها وتزوَّجَها طمعًا في سُلْطَةِ أَبيها الأكاديميَّةِ، وهي في ذلكَ لا تبعدُ كثيرًا عن سِيمياءِ شَخْصيَّةِ زَوجَة الشَّيخ نَبْهانَ الأُولى التي لا تُشَارِكُهُ في أعمالهِ الربحيَّةِ، وزوجَتِهِ الثَّانيةِ الدَّاعيةِ، في حينِ تَسِمُ الرّغبةُ التّجاريّةَ شَخصيّةَ مُديرِ القَناةِ التي يعملُ فيها هزَّاع، وسِكرتيرِ الشّيخ نبهانَ الذي يُنسِّقُ معَ علَّامٍ أمْرَ المنَاظَرةِ، وهَادِية صَاحِبةِ الشَّقَّة التي يلْهُو فيها علَّامٌ وهزَّاع، و تمثّلُ شَخْصِيَّةُ والدةِ هزاعٍ "النَّمْلَة" التي تمثّلُ عَلَامةً للمَرأَةِ التي لا يُمكنُها التَّخلُّص من ماضيها الذي يلزمها احتقارَ المجتمعِ، و كذا نجد سيمياءَ شخصيَّةِ خاله الذي ذَهَبَ لهُ بَعدَ وَفاةِ أبيهِ.

وَيُمكنُنَا، أَيضًا، دراسةُ بلاغةِ توظيفِ هذه الشَّخصيَّاتِ في الخطابِ الرِّوائيّ من خِلَالِ دراسةِ أبعادِها المتَعَدِّدةِ، ومِنْ هَذهِ الأَبعَادِ أبعادٌ (فيزيقيَّةٌ، واجتماعيَّةٌ، ونَفْسِيَّةٌ)، وماهيَّتُها على النَّحوِ الآتي:

- **البُعْدُ النَّفسِيّ:** تَتعلَّقُ الأَبْعَادُ السَّيكُولُوچيَّةُ بِكَينونةِ الشَّخْصِيَّةِ الدَّاخِليَّةِ؛ مثلَ (الأَفكَارِ، المشَاعِرِ، الانفعالاتِ، العَواطِفِ...إلخ) وهيَ مِنْ أَهَمِّ الأَبعَادِ التي

مثَّلتْ أهميَّةً فَارِقةً في تَشكِيلِ بِنيَةِ الشَّخْصيَّاتِ في الرّوايةِ.ومَهْمَا استَغْرَقْنا في التَّحلِيل النّصيِّ؛ فلا يُمكنُ أَنْ نُغْفِلَ الجَانبَ النَّفسِيّ الكَامِن دَاخِلَ الشَّخصيَّاتِ، والمحرّكَ لنَوازِعِهَا، والمفَسِّرَ الخَفِيَّ لأَفعَالها، وملفُوظَاتِهَا، وحَركَتِهَا في الخِطَابِ، والمحكِيّ السَّردِيّ[١].

وممَّا يُفسّرُ لنَا دَواخِلَ شَخْصيَّاتِ الرِّوَايَةِ ودوَافِعَها ما نَجِدُهُ عندَ شَخْصِيَّةِ "علَّامٍ" ما يَرِدُ على لِسَانِ الرَّاوِي عَنْ شَخْصيَّتِهِ المخَادِعَةِ، لِزَوجَتِهِ طِيلَةَ سَنَواتِ حَياتِهِ: "وَقعَتْ هَذهِ الكَلِمَةُ مِن أُذُنِهَا مَوقِعَ الرَّصَاصةِ مِنْ قَلْبِها، فَهِيَ تُدرِكُ أَنَّها وَإِنْ كانَتْ كَلِمةً عَابِرةً في لَحظَةِ غَضَبٍ، إِلَّا أَنَّها تكتشِفُ حَقيقَةَ شُعُورِهِ ونَوَاياهُ، التي حَاوَلَ تَغْطِيتَهَا كُلَّ هَذهِ السَّنوَاتِ"[٢].

ويَكْثُرُ أَنْ تَرِدَ بَعضُ الخِطَاباتِ النَّفْسِيَّةِ في جُملِ الحِوارِ، تَكشِفُ عنْ أَعماقِ الشَّخْصيَّاتِ التي يَدورُ بينها الدَيالُوجُ؛ منها قَولُ مُديرِ القنَاةِ لِهزَّاعٍ، عِندَمَا حَاوَلَ استِشَارَتَهُ؛ لإقَامَةِ المنَاظَرةِ ضِمْنيًّا، حِينَما لَمحَ لهُ أَنَّ القنَاةَ جَمهُورُها غَيرُ كَبيرٍ: "لا بُدَّ أَنَّ لَدَيكَ شَيئًا تُريدُ إقنَاعِي بِهِ كعَادَتِكَ الماكِرَةِ"[٣] وَقَولُ الدُّكتُور علَّامٍ لِلمُحَاوِرِ التّليفزيونيّ هَزَّاع عِندَما طَلَبَ منهُ الأخيرُ مناظرةً بَينَهُ وبينَ الشِّيخِ نَبهَانَ: "طَبعًا هذَا ما يَهمُّكَ أيُّها الانتِهَازِيُّ؛ الإثارةُ عَلَى حِسَابي أَنا وهَذَا الأَحمَقِ"[٤].

ومِنَ الجُملِ الحواريَّةِ/ الدّيالُوج التي تكشِفُ البُعْدَ النَّفسِيَّ، أيضًا، قولُ هَزَّاعٍ عن شَخْصِيَّةِ علَّامٍ النَّاكِرَةِ لِلجَميلِ، عِندَما هدَّدَهُ بالتَّراجُعِ عَنِ المنَاظَرةِ، وذَكرَ لهُ أحدَاثًا ماضيَةً؛ كجُمْلَتِهِ الحوارِيَّةِ "إنْ كُنتَ ناسِي أفكّرك" وحَاولَ هزَّاعٌ

١- ينظر، حسن المودن، الرواية والتحليل النصي(قراءة من منظور التحليل النفسي)،١٣٩.
٢- فراغ مكتظ، ١٦.
٣- نفسه،٢١.
٤- نفسه،١٢.

التَّغاضِي عَنِ الأَمرِ؛ ليتمَّ المناظَرَةَ، وَيُتِمَّ حَلقَتَهُ التي يرغبُ مِنْ وَرائِها في تَحقيقِ جَماهيريَّةٍ كَبيرةٍ؛ فقالَ: "ما أحقرَكَ يا علَّام، متى خذَلتُكَ؛ منذُ عرفتُك وأنَا كالمراسِلِ الصَّحَفِيِّ المخَصَّصِ لتلميعِكَ، والدِّعايةِ لأَعمالِكَ، وكُتُبِكَ، ومحاضَراتكَ. لكِنْ ليسَ أمامِي سِوى الصَّبرِ حتَّى تتمَّ هذهِ المناظَرةُ المشؤُومةُ، ثمَّ ستعرفُ يا علَّامُ حدُودَكَ"[١].

- **البُعْدُ الاجتِمَاعِيّ:** مِن أَهمِّ خَصَائِص الرِّوَايَة تعالقُها الشَّديدُ معَ الحَيَاةِ، وَمن أَبرزِ المظَاهِرِ لهَذَا التَّعالُقِ أَنْ تَفْتَرضَ عالمًا ماديًّا وبَشَرِيًّا شَبيهًا بالحَيَاةِ، تَتَحرَّكُ الشَّخْصِيَّاتُ فيهِ، وتَقتربُ مِنهُ، وتتكَشَّفُ مِنْ خِلَالِهِ الشَّخْصِيَّةُ اِجْتِمَاعِيًّا؛ فنَعرفُ بِيئَتَها والمستوَى الثَّقَافيّ والمادّيّ الذي تَنتمِي إليه[٢]؛ أَيِ الوَسَطَ الاِجْتِمَاعِيَّ الذي تُعَبّرُ عَنهُ، وحركتَها دَاخِلهُ، و"مدى فاعليَّتِها أو خُمُولِها والكَيفيَّة التي يحَدَثُ فيها اِنحرَافُ السُّلُوكِ، أَو تَعْدِيلُهُ نَتيجةَ خِبْرتِها في الحَيَاةِ مِن تَجاربها المُتَعَدِّدَةِ"[٣]؛ مِمَّا يُدخلُها في بُعْدِها الاِجْتِمَاعِيّ؛ فالسَّردُ الرِّوائيُّ في النّهايةِ، "انعكاسٌ للمُجْتَمَعِ والثَّقافَةِ التي تسودُ فيهِ، ووسيلةٌ من وسائلِ الضَّبْط الاِجْتِمَاعِيِّ؛ لِذَا يَكُونُ للبِيْئَةِ تأثيرٌ كَبِيرُ في ثقافَةِ الشَّخْصِيَّةِ وسُلوكِها"[٤].

وتَتَعَلَّقُ الأَبْعَادُ الاجتماعيَّةُ بمعلُوماتٍ حَولَ وَضعِ الشَّخْصيَّةِ الاجتِماعيّ، أَيدولوجيَّاتِها، وعَلاَقَاتِها الاجتِماعيَّةِ، والمِهَنِ التي تعملُ بها، وطبقاتها الاجتماعيَّةِ؛ مثل " عَامِل، طبقَة متوسِّطَة، بُرجوازيّ، إقطَاعِيّ، وَصفهَا

١- فراغ مكتظ،٢٨.

٢- يُنظر، عزيزة مريدن، القصة والرواية،، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٢٩.

٣- يُرَاجَعُ، حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،٢٤٧.

٤- يُرَاجَعُ، بشير إبراهيم أحمد، تمظهرات الشخصية السَّرْدية، ط١، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٤م، ١٣١.

الاجتِماعِيّ: فَقِير، غَنيّ، أَيديُولُوجيّتها، رَأْسماليّ، أُصُوليّ، سُلْطَة..." [١]، كما تَتعلَّقُ بأَبْعَادِها الخارجيَّةِ؛ كالمظَاهرِ الخارجيَّةِ والجَسَديَّةِ للشَّخصِيَّةِ؛ كلَونِ شَعرِها، أو عَينَيها، أو شَكْل وجْهِها، وعُمْرِها، ولِبَاسِها.

ويَرِدُ البُعدُ الاجتماعِيُّ لعلَّامٍ صَرَاحَةً في أَثناءِ استِعدَادِ الشَّيخِ نَبهانَ نفسِهِ للمناظَرة المرتقبَةِ:"بدأَ نبهانُ التَّرتيبَ للمُناظَرةِ بمشَاورةِ بعضِ أصدقائِهِ، والثِّقاتِ منْ مُريدِيهِ، استَشَارهُم في الإقدَامِ عَلَى مناظرةِ علَّامٍ في بَرنَامَجٍ تَلِيفزيونيٍّ. وقَدْ بَدَتْ في نَبرتِهِ الرَّغبَةُ في خَوضِها؛ فهُو يَرَى أنَّها فُرصةٌ ليعزِّيَ هذا اللِّيراليَّ، قليلَ الدّينِ، فإنْ وافقُوهُ عَلَى خوضِ هذهِ المناظَرةِ التي يعتبرُها جِهادًا بمعنى الكلمَةِ، ودِفاعًا عن دينِ الله القويمِ، فعليهم القيامُ بدورِهِم في تزويدِهِ بما يحتاجهُ منْ معلُوماتٍ وأَفكارٍ"[٢]، ويكشِفُ هذا الخطابُ الاستعلاءَ الاجتماعيّ لعلَّام؛ لعملِهِ الأكاديميّ والصّحفيّ وزواجِهِ من ابنةِ أستاذٍ مَرمُوقٍ.

كَمَا يَكْشِفُ استعدادُ الشَّيخِ نَبهانَ للمُناظَرةِ المرتقبَةِ سيطرةَ سُلطتِهِ الدّينيَّةِ عليهِ "الوقتُ قَصِيرٌ، ولكنَّ همَّتُكُم ستُعوِّضُ الوَقتَ، فعليكُمْ بنبشِ ملفَّاتِ هذا اللِّيبراليّ: يا عزَّامُ، وأشارَ لأحَدِ الشُّبانِ الحاضرينَ، أَنتَ وزُملاؤُك تُوزِّعُوا المهمَّاتِ فيما بينكُم: مجموعةٌ يقرؤونَ كُتبهُ، ويَسْتخرجُونَ منها المآخِذَ الشَّرعِيَّةَ والأخلاقيَّةَ والسِّياسيَّةَ والاجتماعيَّةَ، ومَجمُوعةٌ ينبشُونَ في حواراتِهِ ومحاضراتِهِ. وإن تيَسَّرَتْ لكُم مَعرفةُ شَيءٍ مِن حَيَاتِهِ وعَلَاقاتِهِ الخاصَّةِ، فقدْ نَحتاجُها"[٣].

ويُمكنُنَا مِنْ خِلَالِ أَسماءِ الشَّخْصيَّاتِ الثَّلاثَةِ: "هَزاَّع، علَّام، نَبهَان أنْ نتتبَّعَ سيميَاءَها، ودَلالتَها؛ فَنبْهَان هو الرَّجلُ الذَّكِيّ الفَطِنُ، وعلَّامٌ عَلَى صِيغَةِ

١- محمد بو عزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠م،٤٠.

٢- نفسه،٤٣.

٣- فراغ مكتظ في نادي أصدقاء السرد، صحيفة الاتجاه ٢٠٢٤/٩/٢١م.

المبالَغَةِ علامةٌ عَلَى كثرةِ العلمِ، وهزَّاع، عَلَى صِيغَةِ المبالَغَةِ أيضًا، هوَ الأسدُ كثيرُ الافتراسِ، فَكُلُّ شَخْصِيَّةٍ لها أهدافُها ورغباتُها في الوصولِ إلى قِمَّةِ المجتمعِ، ولن يتحقَّقَ لها ذَلِكَ إلَّا بإسقاطِ الآخَرِ.

ومِنْ ثَمَّ؛ فالدّكتُورُ عَلَّامٌ شَخْصيَّةٌ ليبراليَّةٌ، تَهدفُ إلى هَدْمِ أَفكَارِ الإسلَاميّينَ، وتقويضها، من خلالِ رَمزِها الشَّيخِ نَبهانَ، وهو ما يفعلُهُ الشَّيخُ نبهانُ في محاولَتِهِ تهوينَ آراءِ اللِّيبراليينَ مُتمثّلَةً في الدُّكتُور علَّامٍ، ولكُلِّ طَرفٍ جُمْهورُهُ الذي يؤيِّدهُ، لكنَّ الصِّراعَ لم يكُنْ صِراعَ أفكارٍ ومعتقداتٍ، بلْ إن كُلَّ شَخصيَّةٍ تُحاولُ تَعويضَ وَضْعِها الاجتِماعيّ السَّابقِ وتحقّقَ مطامحَ ذاتيَّةً، تقفزُ بها في السُّلَّمِ الاجتماعيّ؛ لِذَا يَسْتَغِلُّ الشَّيخُ نبهانُ كلَّ الظُّروفِ "أمَّا هُو فينظرُ إلى زَواجِ المسيَارِ بِعَينَي تاجِرٍ يَحصُلُ عَلَى كُلِّ ما يُريدُ بأَقلِّ تكلفَةٍ" وكذلكَ يَستغلُّ علَّامٌ حُبَّ زوجتهِ في الوُصولِ للشَّهاداتِ العُلْيَا مِن خِلَالِ أَبيهَا، وهَزَّاعٌ يَسْتغِلُّ الصِّراعَ بَينَ الطَّرفينِ؛ ليفُوزَ ببرنَامِجٍ تِلْفازيّ مُثِيرٍ يَجلِبُ لهُ الشُّهْرَةَ والقَفزةَ الاجتِمَاعيَّةَ. ولا يُمكنُنا أَنْ نَنْسَى قُوَّةَ المالِ، وقُدرتَهُ الفائِقَةَ في السَّيطرةِ على الوضْعِ الاجتمَاعِيِّ والدِّينيّ والإعلَاميّ في هذا المكانِ، فَهُو المحرِّكُ الرئيسُ للشَخْصِيَّةِ، والعاملُ المؤثّر الذي "تُثير هذهِ الرُّدُودُ حِنقَ هزَّاعٍ، وتَكْشِفُ لهُ زيفَ المبادِئِ التي يدَّعِيها الطَّرفانِ"[1].

٢/٢- بَلَاغَةُ التَّرتيبِ والتَّتابُعِ الزَّمَنِيّ في خِطَابِ الرِّوَايَةِ:

لا يَخلُو الزَّمنُ السَّرديّ مِنْ بَلَاغَةِ التَّتابُعِ والتَّكْرارِ والتَّدَاخُلِ والتَّوازِي؛ وهُو ما يُعرفُ بالإيقاعِ الزّمَنيِّ للخِطَابِ الرّوائيّ[2]؛ إذْ يمثّلُ الزَّمنُ فاعليَّةً كبيرةً في النَّصِّ السَّرِدِيّ، فَهُو إحْدَى الرَّكائزِ الأساسِيَّةِ التي تَستندُ إليها العمليَّةُ السَّرديَّةُ؛

١- فراغ مكتظ،٤٢.

٢- ينظر، وجيه يعقوب السيّد، الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠٠٤م، ٢٣٥-٢٣٦.

فدراسةُ الزَّمنِ في النَّصِّ السَّردِيِّ هِيَ التي تكشِفُ عَنِ القَرائنِ التي يُمكِنُ منْ خِلَالها الوقوفُ على كيفيَّةِ اشتغالِ الزَّمنِ في الرّوايَةِ [١]؛ فالزَّمَنُ هو الخيطُ الذي يَجمعُ كلَّ العناصرِ السَّرديَّةِ، ولا يمكنُ أنْ يُكتبَ أَيُّ نصٍّ سَرديٍّ؛ فالإشاراتُ الزَّمنيَّةُ المبثُوثةُ في أيِّ نَصٍّ سَرِدِيٍّ تشتركُ وتتَفَاعلُ مَعَ جَميعِ العَناصِرِ السَّرديَّةِ الموجُودةِ في النَّصِّ مؤثِّرًا فيها ومُنعكِسًا عليها "فالزَّمنُ حقيقةٌ مجرَّدةٌ سائلَةٌ، لا تَظْهرُ إلَّا منْ خِلَالِ مفعُولها عَلَى العناصرِ الأُخرَى"[٢].

يتكوَّنُ زمنُ رِوَايَةِ" فرَاغ مُكْتَظّ" مِن تِسعَةِ أيَّامٍ مُحدَّدَةٍ بالتَّاريخِ، وتَستغرقُ هذهِ المذكِّراتُ حَيّزًا لا بأسَ بهِ منَ الرِّوايةِ، وَتُمثِّلُ مِفْصِلًا من مَفَاصلِ تطَوُّرِ الحدَثِ وتنَاميهِ فيمَا يَتعلَّقُ بالتَّحضيرِ للمُناظرةِ المنتظَرةِ، وهيَ مُؤرَّخَةٌ بِتَواريخِ الأيَّامِ التِّسعَةِ مِنْ يوليُو، وهِيَ الأيَّامُ التي يُعْنوَنُ بها فُصُولُ الرِّوايَةِ: الأَحَد ٢ يُوليُو ٢٠٠٦م،الإثْنَينِ ٣ يُوليُو ٢٠٠٦م، الثُّلَاثَاءُ ٤ يُوليُو ٢٠٠٦م،الأربعاء ٥ يُوليُو ٢٠٠٦م،الخَمِيسُ ٦ يُوليُو ٢٠٠٦م، الجُمعَة ٧ يُوليُو ٢٠٠٦م، السَّبْتُ ٨ يُوليُو ٢٠٠٦م، الأَحَد ٩ يُوليُو٢٠٠٦م، الإثْنَينِ ١٠ يُوليُو ٢٠٠٦م.ويَتَخلَّلُها اسْتِبَاقٌ واسْتِرجَاعٌ عَلَى النَّحوِ الآتي:

الإسْتِرجَاعُ: ويُصطَلَحُ عليهِ أيضًا بالارتدادِ والارتِجاعِ؛ وهُو" سَردٌ لاحقٌ لحدَثٍ سَابقٍ للحظَةِ التي أَدركَتْها القِصَّةُ"[٣]؛ كمَا نَجدُ خاصَّةً معَ استرجاعاتِ شَخصيَّةِ "هَزَّاعٍ"؛ كاسترجاعِهِ ما تندَّرَ بهِ أَهلُ قَريتهِ مِن اسمهِ؛ فعكسُوا دلالتَهُ ليعبّرَ عَنِ السُّخريَةِ، وحَملُوهُ إلى الضِّدِّ؛ فحوّلُوا اسمَهُ الحقيقِيّ إلى لَقبِ -"ابن

١- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،١١٣.

٢- سيزا قاسم، بناء الرواية في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ٢٧.

٣- محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديَّاتِ، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، المغرب،٢٠١٠م،١٧.

النَّملةِ" في زَمنِ طُفُولتهِ ونَشأتهِ معَ أمِّهِ ووالدِهِ، وقِصّتهِ معَ حَبيبتِهِ حليمةَ؛ ليعودَ بالحَدَثِ إلى الماضِي بِذَاكِرةٍ مُثْخنةٍ بالوجعِ والشَّكِّ والحِيرةِ؛ حيثُ منشأُ اهتزازِ شخصيَّتِهِ، ومرَضِهِ النَّفسِيِّ الذي اِكْتَشَفَهُ عِندَ الطَّبيبِ النَّفْسِيّ؛ ممَّا جعلَ شخصِيَّةَ هزَّاعٍ هِيَ الشَّخصِيَّةَ التي أضافَتْ للخِطَابِ الرّوائِيّ الصُّورَ الإنسانيَّةَ الأشدَّ عُمقًا، وأضَافَ إليها عَوَاطفَ وأَحاسِيسَ ومَشَاعرَ مُضطَرِبَةً، وقد لجأَ هَزَّاعٌ إلى الكتابةِ؛ للتَّعبيرِ عن معاناتِه، وألمِهِ، وما لاقَاهُ من ألَمٍ وصِراعٍ، وقد تنازعَتْهُ آلامُ المرضِ والتَّردُّدِ بين قُطبي الصِّراعِ؛ كالرُّقيةِ والنَّفْثِ الذي يقومُ بِهِ الشَّيخُ نبهانُ مِن جهةٍ، والعِلَاجِ العِلميِّ النفسِيِّ الذي دلَّهُ عليهِ علَّامٌ.

ومنهُ أيضًا ما يُدهِشُنا بهِ هزَّاعٌ حينَ يَتَحوَّلُ مَوقفُهُ منْ علَّامٍ رَفيقِهِ ونَديمِهِ في اللَّهوِ والسَّهرِ عِندَ "هَادِيةَ"؛ عندَما حَاولَ عَلَّامٌ الضَّحكَ معهُ كَعَادَتِهِ؛ إلَّا أنَّهُ نوَى قَبلَ المناظَرَةَ فِعلًا الإطَاحَةَ بعَلَّامٍ قبلَ المناظرَةِ تمامًا، ويقوّي من موقفِ الشَّيخِ نبهانَ؛ وهُوَ أنَّه قدِ اختلَسَ صُوَرًا مِن هَاتِفِ "هَادِيةَ"؛ إذْ: "قَفزَتْ إلى ذَاكِرةِ هزَّاعٍ الصُّورُ التي اختلَسَها منْ أَلبُوم هَاديةَ؛ تَحَسُّبًا لاحتِياجِهَا في وَقتٍ كَهذَا، ها هُو الوَقتُ قدْ حانَ أن تصِلَ الصُّورُ إلى زَوجةِ عَلَّامٍ جزاءً وِفاقًا لهذِهِ السُّخريَةِ والجُحُودِ"[1]. ومِنْ ثمَّ؛ كانَ لبلَاغَةِ هذا الارتجاعِ الزَّمنيّ دَورُهُ في جَذْبِ المتلقِّي لشَخْصيَّةِ هزَّاعٍ، وحينَما يَسْتَرْجِعُ أَحْداثَ حَيَاتِهِ الماضِيَةِ نجدُها ممتلئةً بالوجَعِ والألمِ، وحينَ يَلجَأُ إلى البَحرِ ويَعُودُ إلى القَريةِ ويُصَوِّرُ العَلَاقةَ معَ أُمِّهِ وحَبيبتِهِ وطُفُولتِهِ، حَيثُ تكمُنُ بُؤرةُ الشَّخْصِيَّةِ وقِيمتُها وعُمقُها يَنْقُلنَا مَعهُ زَمَنيًّا ومَكَانيًّا ونَفْسيًّا؛ ممَّا يَجعُلُنا نَعِيشُ معَ أَحدَاثِ الرِّوَايَةِ؛ كما أَشَارَ واين بُوث فيما أَشَرتُ إلَيهِ آنفًا.

١- فراغ مكتظ، ٥١.

- **الاستِبَاقُ:**

يعرفُ الاستِبَاقُ بأَنَّهُ " سَرْدُ حَدَثٍ لَاحِقٍ ، أَو ذِكرُهُ مُقَدَّمًا[١]"، ويُمكنُنَا تمثُّلُ الاستباقِ الزَّمنيِّ في سِياقِ أَحدَاثِ الرّوايةِ في ثقةِ هَزَّاعٍ بنتيجَةِ المناظرةِ والسَّبقِ الإعلامِيّ الذي يَنتَظِرهُ ويَسْتَشْرفُهُ، ويَظهرُ ذلكَ في قَولِهِ: "تَوجُّهُ قَناتِنَا مَعروفٌ، وهِيَ معَ التَّنويرِ والإنفتَاحِ، وضِدّ الانغلَاقِ والتَّطرُّفِ. ولَكِنْ لا نُريدُ أَنْ نَجعَلَها حَلَبتَهُ لصِراعِ التَّيَّاراتِ الفِكريَّةِ، ومع ذلكَ فسَأَخُوضُ معَكَ هذِهِ المغامرةَ حتَّى النِّهايَةِ، وبَعدَها سَنَجْلِسُ لمراجعَةِ النَّتائجِ، وسيتَقرَّرُ مصيرُكَ، وَرُبَّما مَصيرُكَ، وَرُبَّما مَصيرِي أَنا أَيْضًا، فهَلْ أَنْتَ مُستَعِدٌّ؛ لتَحَمُّلِ النَّتائِجِ؟ قَالَ هَزَّاع، وهُوَ يَتبَادَلُ أَمرَ الصَّرفِ: وهلْ أَنْتَ مستعدٌّ؛ لتقديرِ عَمَلِي عِندَما تَرى النَّتائِجَ المدْهِشَةِ لهذهِ القُنْبُلَةِ الإعلَاميَّةِ؟"[٢] ومنهُ قولُ هَزَّاعٍ يُفَكِّرُ في الحلَقَةِ القُنْبُلَةِ، ويَردُّ علَى قَولِ عَلَّامٍ "هذا ما يَهمُّكَ أيُّها الانتِهَازِيّ" فَقَالَ في نَفسِهِ: "طَبعًا هذا ما يهمُّني يا سيَّد عـلَّام؛ فَنجَاحُ بَرنامجِي غايةٌ، يجِبُ أَنْ أَسْعَى إلَيهَا بكُلِّ وَسيلَةٍ، وَنَجاحِي الإعْلَامِيّ لا يَتَحَقَّقُ دُونَ إثارَةٍ ومَهَارَةٍ"[٣]. وَهَكذَا يَكشِفُ الاستِباقُ عَن نَوَايا الشَّخْصيَّةِ، وطُمُوحاتِها، ونِيّتِها، ونَسْتَشرِفُ معَها الأَحدَاثَ، وهُو ما يُثِيرُ دَهْشَةَ المتَلَقِّيَ، وَيَجعَلُهُ يَشْتَبكُ معَ الأَحْداثِ، ويراها حقيقةً واقعةً؛ كما أشرتُ فيما قبلُ إلى ما ذكرَهُ واين بوث بخصُوصِ ذلك الشُّعورِ الذي تُحققهُ بلَاغَةُ الرّوايَةِ.

٢/٣- المكَانُ الكنائِيُّ والمتَخيَّلُ السَّرديُّ:

١- ينظر، محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديَّاتِ،٢١.
٢- السَّابق،٢٢.
٣- السَّابق،٤٠.

للْمكَـانِ فـي السَّـردِ دَورُهُ المهـمُّ؛ فهُـوَ الكَاشِـفُ عـنْ كَينُونـةِ الشَّخْصـيَّةِ، وإمكاناتِهـا، وثَقَافتِهـا، وقُـدرتِها علـى التَّواصُـلِ، والانتمـاءِ، والتَّوَجُّـهِ، والعَلَاقـاتِ الممكِنَةِ[1]؛ فالمكانُ في الرّوايةِ هُو "المكانُ اللَّفظيُّ المتخيَّلُ، الذي صنعتهُ اللُّغةُ انصِياعًا لأغراضِ التَّخييلِ الرِّوائيِّ وحاجَاتهِ"[2]؛ فالنَّصُّ الرِّوائيُّ يخلقُ عن طريقِ الكلماتِ مكانًا خياليًّا لـهُ مُقوّماتـهُ الخاصَّـةُ وأبعـادُهُ المتميّزةُ"[3]؛ لِذا فَلِلْمكَانِ بعدٌ كنـائِيٌّ، يتمثَّلُ فيما انطوَى عليـهِ الفَضـاءُ في الرّوايـةِ فـي سياقِ الحركـةِ السَّرديَّةِ نفسِهَا من عناصِرَ، ومنْ أبرزِهِ ما يَأتِي:

القريةُ الحَزناءُ؛ هيَ مكَانٌ كِنَائيٌّ عَنِ الحُزنِ، يمثّلُ وِعاءً ملائِمًا لما يَعتري شَخْصيَّةَ هَزَّاعٍ من آلامٍ نتيجـةَ تَلَقِيبِ أُمّـهِ بالنَّملـةِ؛ دَلَالـةً علـى احتِقَارٍ يَشملُهما، وأبٍ قاسٍ، شديدِ القسوةِ، ومُجتَمعٍ لا يَرحَمُ حتَّى مَعشُوقتهِ "حَليمةَ" التي تزوَرُّ عنـهُ إلـى أَحْضَـانِ رجُلٍ سَـجينٍ للمخـدَّراتِ؛ ممَّـا يهيـئُ شخصـيَّتَهُ للاستسْـلَامِ ونوبـاتِ البُكاءِ والوقوعِ في أَسْرِ الانطِواءِ والكُمُونِ وأقراصِ الزّناكسِ.

وكذا جاءَ المكانُ الخـارجيّ/ مقهـى النُّورِ؛ ليكونَ مكانًا لتدخينِ المعسّلِ، وهو مكانٌ مغلقٌ معزولٌ، يكافِئُ الحالـةَ النَّفسِيَّةَ التي يُعاني منهَا؛ لذَا لجأَ السَّارِدُ إلى المزْجِ بينَهُ وبينَ ملامحِ الشَّخصِيَّة بوسيلتينِ اثنتينِ: حديثِ النَّفسِ، وَوَصْفِ

١- ينظر، مصطفى الضبع، استراتيجية المكان: دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠١٨م،٤٢-٤٣.

٢- سمر روحي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العربي، دمشق ١٩٩٥م،٢٥١.

٣- سيزا قاسم، بناء الرواية، ٧٤.

المكانِ.كما جَاءَتِ الشَّقَّةُ مَكَانًا مُخْتفِيًا مُوَازيًا للشَّخْصيَّاتِ؛ حيثُ تَبرزُ فيها عَلَى طَبيعتِها، فتعيشُ الحريَّةَ، والفَوضَى والبُعدَ عنِ الالتزاماتِ والقَوانينِ الاجتِماعيَّةِ، التي تَكشِفُ عَنِ الفوضَى وعدمِ التَّنظِيمِ، وفي المقابلِ نَجدُ مَكْتَبَ الشَّيخِ نَبهَانَ يسودهُ التَّنظيمُ والتَّرتيبُ، ويبرز البحرُ في الرِّوايةِ مَكَانًا لتتنفسَ فيهِ الشَّخصيَّةُ الحريَّةَ والانْفِتاحَ. ومنْ ثمَّ؛ فلم يأتِ وصفُ المكانِ في السَّردِ عِبثًا علَيهِ، بَلْ كانَ وِعاءً كِنائيًّا للأَحدَاثِ، ورسمًا مُوازيًا لدَوَاخِلِ الشّخصيَّاتِ، وأفكارِها، وما تسترجِعهُ، وتستَشْرِفُهُ منْ أَحداثٍ مُؤثّرةٍ ومُدْهِشَةٍ.

- **الخاتمة ونتائج البحث :**

١ . تَرى الدراسة أَنَّ البلاغَةَ العربيَّةَ؛ بعلومِها الثّلاثةِ مِن مَعَانٍ، وبيَانٍ، وبَديعٍ، مازَالتْ قادرةً على دراسَةِ الخطَابِ السَّردِيّ المعَاصِرِ، في ضَوءِ رُؤيَةٍ مُتكاملَةٍ، لا تقعُ في أَسْرِ النَّمُوذج الغَربيّ، ولا تُقصِيهِ في الوَقتِ ذاتِهِ؛ مما جعلها تكتشفُ قيمًا بلاغيَّةً مهمَّةً للجناسِ، والطّباقِ، والمقابلَةِ، والاستِعَاراتِ والتَّشبِيهاتِ، والكِناياتِ في البنية السّرديّة للرّوايةِ محلّ الدّراسةِ، أمكنَ من خِلَالها، فهمُ مَرجِعيَّةِ الشَّخْصيَّاتِ، ومُتابَعةِ وِجْهةِ النَّظرِ في الرّوايةِ مِن حيثُ الاستقطابِ الحادّ بين التيّارينِ المتناقضينِ: اللّيبرالِيّ، والدّينيّ المتشَدِّدِ.

٢ . حَاولَ الكاتبُ أنْ يمرّرَ وِجْهةَ نَظرِهِ هَذهِ من خِلَالِ بلاغَةِ السَّردِ الرِّوائيِّ في رِوايَةِ "فَراغٌ مكتظٌّ" بمَجَازَاتِهِ وتَقرِيرِهِ واستِعَارَاتِهِ الموسَّعَةِ التي تَشِي بالتّناقضِ من خِلَالِ مُعْجمٍ لُغوِيّ مُختارٍ بعِنَايةٍ، وتِقْنياتٍ بَلَاغيَّةٍ ومَعرِفيَّةٍ ضَفَّرها في سَردِهِ؛ فاختارَ لروايتِهِ ثلاثَةَ شَخصيَّاتٍ رئيسَةٍ، يتَصدَّرُها البَطلُ والبطلُ الضِّدُّ بالتَّناوبِ .

٣ . الرّوائِيُّ يَستَخْدمُ المسْتَوياتِ اللُّغويَّةَ كُلَّها: "الشِّعريَّةَ، التَّقريريَّةَ، الفُصْحَى، العاميَّةَ، الصُّوفيَّةَ، التُّراثيَّةَ،...إلخ" وقد يَلجَأُ إلى مَجمُوعَةٍ منَ الصُّورِ والمجازَاتِ وأَلوانِ البَدِيعِ؛ لِيَكسبَ اللُّغةَ شعريَّةً في مواضعِ الإغْراءِ، وقدْ تَخلُو منها في مَوَاقِعِ الجِدِّ، وقَدْ يَتَوسَّطُ في مَوَاضِعِ الوَصْفِ المحَايدِ. ويَقُومُ السَّرْدُ في رِوَايَةِ " فَراغ مكتظّ" عَلَى أَسَاليبَ رمزيَّةٍ، تمثِّلُ التَّوتُّراتِ الثَّقَافِيَّة بين الأقطابِ المتضَادَّةِ إلى دَرَجَةِ التَّنافُرِ، والمتَضَادَّة إلى درجَةِ التَّناقُضِ؛ عَبرَ

مَجمُوعـةٍ مـنَ الحِكَايـاتِ الثَّقَافِيَّـةِ التَّخييليَّـةِ ذَاتِ المرجعيَّـاتِ الواقعيَّـةِ؛ بمـا يجعلُنا نَستَشْعِرُ وَاقِعيَّةَ الأَحْداثِ والشَّخْصيَّاتِ .

٤ . كان للتَشَكيُّلَ الصَّوتيَّ في الخِطابِ الرِّوائيّ تأثير كبير، من خِلَالِ ظَواهِرِ البَديعِ في النَّصّ، التي تَغْدُو بِدَورِها وَسِيلَةً رَمزيَّةً، تجذِبُ انتباهَ المتلقّي، وتُؤثِّرُ فيهِ؛ فالجَانبُ الموسِيقيُّ من أَهمِّ جَوَانِبِ الخِطابِ الرّوائيّ؛ إِذْ تمنحُ النَّصَّ شِعْرِيَّتَهُ وتأْثيرَهُ وتَفاعُلَ المتلَقّي مَعهُ .

٥ . كان للمستوى المعجمي حضور فاعل لأنه من الضَرُوري الوقُوفِ أَمامَ الكَلِمَاتِ في الخِطَابِ الرّوائِيّ؛ لأنَّ للكَلمَةِ دَورًا في كشْفِ تنوّع الشّخصيَّاتِ، وأيديولُوجيَّاتِها، ومواقِفِها، ومَركزِيّتها دَاخِلَ الخِطَابِ؛ فصَارَ منَ المعلُومِ في ضَوءِ الدّراسَاتِ البلَاغيَّةِ والنَّقديَّةِ الحديثَةِ أَنَّهُ لا يُوجَدُ لَفظٌ يَظَلُّ علَى حَالتِهِ الطّبيعيّةِ مادَامَ قَدْ وُجِدَ في سِيَاقٍ يُوفِّرُ لهُ حِوَارًا دَاخِليًّا مع قرينه في النّصِّ، وآخرَ خارجيًّا يُوفِّرُهُ لهُ ظِلَالهُ المسْتَمَدَّةُ مِنْ سِياقاتٍ مُختلِفَةٍ أُخْرَى .

٦ . كان للمستوى التركيبي في الخِطَابُ الرِّوائيُّ أهمية قصوى ؛ لأنه كسَائرِ الخِطَابَاتِ يَسْعَى إلى تَوصيلِ رِسالةٍ عبر مجموعةٍ من العَلَاماتِ، تَجمعُ بين الدوالّ اللُّغويَّة في بيئةٍ مُحَدَّدةٍ تُعبِّرُ عنْ أَغراضٍ مُحدَّدةٍ، يتَّفِقُ فيها الأداءُ اللُّغويُّ أو الاختِيارُ الأُسلُوبيّ، وعَنَاصرِ التَّفكيرِ والتَّفاهُمِ والعَمَليَّاتِ الوجدانيَّةِ بينَ المتواصِلِينِ بهذهِ الأَسَاليبِ التي تَتَرَاوحُ بينَ الخبرِ والإنشَاءِ عادَةً لكشْفِ كلِّ هَذهِ العَمليَّاتِ المعقَّدة في عمليَّةِ الاتِّصَالِ في الخِطَابِ الرِّوائيّ .

٧ . كان لعلم البديع مكانة في بنية الخطاب من خلال الطِّبَاقُ والمقابلة فهما مِنَ الظَّواهِرِ التي تُشكّلُ إيقَاعًا صَوتيًّا في النَّصِّ؛ ، وَلَعَلَّ السِّرَّ في استعمال

الطباق فيما يُحدثهُ مِن أَثَرٍ في كونِهِ يجمعُ الشَّيءَ ونَقِيضِهِ، في جزءٍ محَدَّدٍ منَ الخِطَابِ ، ومِن ثمَّ؛ نَلْحَظُ أنَّ بنيةَ المقابلةِ قَدْ شكَّلتْ دَلالاتٍ فاعلَةً في السَّردِ الرِّوَائيّ عِندَ الكاتبِ إبراهيم الألمعيّ من خلالِ طَرِيقَةِ السَّارِدِ في المقابلةِ .

٨ . اكتسب انتِشَارُ الصُّورِ البَيَانيَّةِ، والفنيَّةِ عامةً وَضْعيَّتَهُ المعقَّدةَ في الخِطَابِ السَّردِيّ، وديناميَّتهُ التي تَشكّلُ فَضَاءَ السَّردِ، وتركيبَ الأحداثِ والشَّخصيَّاتِ، وتَشابُكاتِها المسْتَمِرَّةَ، وَهَيْمنةَ بَعْضِها، وخُفُوتِ بعضِها الآخَر؛ بحسَبِ أدَواتِ الصُّورِ الجَماليَّةِ التي يختارُها السَّاردَ لِيصْنعَ حالةً تخييليَّةً مُوهمةً بواقعيَّتها .

المصَادِرُ والمرَاجِعُ

- **أوَّلًا : المصَادِرُ:**
- إبـراهيم مضـواح الألمعـي، فـراغ مكـتظ، ط١، دار أدب للنشـر والتوزيـع، الرياض، ١٤٤٥-٢٠٢٣م.
- **ثَانِيًا: المرَاجِعُ:**
- إبراهيم منصور التركيّ، توظيفِ أدواتِ البلاغة في النّصّ المعاصرِ، الندي الأدبي، الرياض، ١٤٣٢هـ.
- ابن الأثير(نجم الدين أحمد بن إسماعيل ت٧٣٧هـ)، جوهر الكنز(تلخيص كنـز البراعـة فـي أدوات ذوي اليراعـة) تحقيـق، محمـد زغلـول سـلام، منشـأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة، ١٩٦٩م.
- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار أجياد التراث العربي، بيروت، د.ت.
- أحمد عادل جاد المولى، بناء المفارقة دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠٠٩م.
- أحمد عبدالحي، مفاتيح كبار الشعراء العرب، دار بلنسية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- أبو يعقوب السكاكي(ت ٦٢٦هـ) ، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- أيمـن أمـين؛ الكـافي فـي البلاغـة (البيـان والبـديع والمعـاني) ،دار التوفيقيـة للتراث، القاهرة ، ٢٠١١م.

- البابرتي(أكمل الدين محمدين محمدين محمود ت٧٨٦هـ)، شرح التلخيص، دراسة وتحقيق:مصطفى رمضان، صوفية، النشأة العامة للنشر، طرابلس، ط١ ، ١٩٨٣م.
- بشير إبراهيم أحمد، تمظهرات الشخصية السَّرْدية، ط١، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٤م.
- جوزيف كونراد، فرجينيا وولف، هنري جيمس، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة: إنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة، ١٩٧١م.
- حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م.
- حسن المودن، الرواية والتحليل النصي(قراءة من منظور التحليل النفسي)، الدار العربية للعلوم–ناشرون– بيروت،٢٠٠٩م.
- حمادي صمود، في نظرية الأدب عند العرب، مكتبة المتنبي، الدمام،٢٠١٢م.
- رشيد العبيدي، مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠٠٢م.
- رضا كامل، بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠١٠م
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م
- السكاكِيّ (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ت ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- سمر روحي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العربي، دمشق ١٩٩٥م

- سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت،١٩٩١م.
- سيزا قاسم، بناء الرواية في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة، ١٩٩٩م.
- شفيع السيد، فن القول بيت البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- شكري الطوانسي، البديع وفنونه: مقاربة نسقية بنيوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- شكري الطوانسي، شعرية الاختلاف: بلاغة السَّردِ عند إدوارد الخرَّاط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م.
- صالح بن الهادي رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراك، النادي الأدبي، الرياض،٢٠١٥م.
- صبحي الفقي، علم النصّ بين النّظريّة والتّطبيقِ، دار قباء للطّباعة والنّشرِ، ٢٠٠٠م.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، لونجمان للتّوزيع والنّشر، القاهرة، ١٩٩٦م.
- عبدالرحيم الكردي، تطور التقنيات السردية في الرواية المصرية، مكتبة الآداب،القاهرة،٢٠٠٨م.
- عبدالعزيز عتيق علم المعاني، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٣٠-٢٠٠٩م.
- عبدالفتاح عثمان، بناء الرواية: دراسة في الرواية المصرية ، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- عبدالواحد حسن الشَّيخ، البديع والتوازي، ط١، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية. ١٩٩٩م.

- عَزيزة مريدن، القصة والرواية،، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- قُدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق، محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- القَزوينيّ(محمد بن عبد الرحمن ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي،ط٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م
- مجدي وهبة، كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- محمد أنقار ، بلاغة الرِوَايَة واين بوث أنموذجًا، مجلة فكر ونقد، عدد ٤١، المغرب، ٢٠٠١م.
- محمد سيد علي عبدالعال، الخطاب النقدي في مواجهة النص الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- محمد سيد علي عبدالعال، لبيد والذكرى المستديرة: أصداء النّصّ ومرايا السّيرةِ، مكتبة الآدابِ، القاهرة، ٢٠١٩م.
- محمد العبد، المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠٠٥م.
- محمد العمريّ، في بلاغة الخطاب الإقناعيّ، دار الثّقافةِ، الدّار البيضاء، ١٩٨٦م.
- محمد عبدالمطلب، البلاغة العربية: قراءة أخرى، لونجان للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، لونجان للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.
- محمد عبدالمطلب، القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة، ٢٠١٣م.
- محمد عبدالمنعم خفاجة، ومحمد السّعدي فرهود، وعبدالعزيز شرف الأسلوبية والبيان العربِيّ، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م.

- محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)،ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠م.
- محمد علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق، عبدالقادر حسن، مكتب الآداب،ط١، ١٩٩٧م.
- محمد فكري الجزار، البلاغة والسرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠١١م.
- محمد القاضي، تحليل الخطاب السّردي بين النظرية والتطبيق، مسكيلياني للنشر،١٩٩٧م.
- محمد القاضي وآخرون، معجم السّرديَّاتِ، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، المغْرب،٢٠١٠م.
- المراغيّ، أحمد مصطفى، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، شركة القدس، القاهرة، ٢٠١٢م.
- مصطفى الضبع، استراتيجية المكان: دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨م.
- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ختارات من أعمال باختين، ترجمة: يوسُف الحلَّاق، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، ١٩٨٨م
- ميخائيل باختين، مختارات من أعمال باختين، ترجمة: يوسُف الحلَّاق، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- وجيه يعقوب السيّد، الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠٠٤م.
- واين.س. بوث، البلاغة وتحليل الخطاب(دراسات نظريَّة وتطبيقيَّة)، ترجمة، معتز سلامة، الطبعة الأولى، دار النابغة للنشر، طنطا، مصر، ٢٠٢٠م.

- واين بوث، بلاغة النص القصصي، وين بوث، ترجمة،. أحمد خليل عردات، وعلي أحمد الغامديّ، منشورات جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ، ١٩٩٤م.
- ياسر عوض أحمد، المجالات الدلالية في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية،القاهرة،٢٠١٨م.
- يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المقتطف، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.
- يمنى العيد، في القول الشعري، دار توبقال، المغرب، ط١ ، ١٩٨٧م.

- ثَالثًا: المقالاتُ الدَّوريَّات:

- زكيَّة بنت محمَّد بن مبارك السليس العتيبيّ، بَلاغَةُ الرِّوَايَةِ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ وِينْ بُوث (مقاربة وصفيَّة مع التطبيق على رواية، في ديسمبر تنتهي كلُّ الأحلام، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية ، العدد٨، جزء ٢، أبريل – يونيو، المدينة المنورة، ٢٠٢٣م.
- محمد عبدالمطلب، التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ، دراسة أسلوبية، مجلة فصول، مج ٣،ع٢،مارس ١٩٨٣م.

- رابِعًا: المواقعُ الإلكترونيَّة:

- فراغ مكتظ في نادي أصدقاء السرد، صحيفة الاتجاه ٢٠٢٤/٩/٢١م. **https://alatjah.com/archives/47763147**